أصحاب اليمين
نوها
آبنة الحسين

أصحاب اليمين

إهداء...

إلى كل "ورد"

إلى كل أنثى عصامية

إليكِ قارئتي...

”لم يسعفني الوقت
أنا من أسعفته في آخر لحظة
ليبقى معي ويترك لي
فرصة معلقة أو صدفة مفاجئة
أحتاج لوقت إضافي
يعطيني حياة
يعطيني مصيرا آخر
أحتاج لشيء مختلف
يحركني من الداخل
أحتاج لصوت يصرخ في أذني
انتبه...عندما أتجاوز
ارجع...عندما أتقدم إلى مجهول
أحتاج لصوت أسمعه قبل فوات الأوان...
لصوت يخبرني من أنا عندما أنساني!“
من كتاب "نصف وجه بلا ملامح"
لـ "هاجد محمد"

مقدمة...

مفاجآت الحياة ، تأتي بلا مقدمات..

اقلب الصفحة...

بداية

في غرفة وردية تعبق منها رائحة الخزامى تنعش الروح قبل الرئتين ، تناثرت مزهريات ملونةبشكل مرتب راق في أرجائها ، لتشعر كأنك في حديقة غناء ذات ورد مختلفة ألوانه وأشكاله ، ومن بين الستائر المتطايرة مدت الشمس خيوطها الذهبية لتحيك شعور الجمال بالدفء فتضحك الحياة و تخلق الفرح ...

يكسر صمت المكان شقشقة العصافير ، وهديل الحمام ، التي كانت دوما أجمل المقطوعات الموسيقية العزيزة على كل ذي قلب مرهف الإحساس ، مفعم بالحياة ، صاف كماء عذب لجي لم يصله بشر .

و قرب الدولاب الخشبي البني الغامق الأنيق ، وضعت مرآة طويلة مزخرفة الجوانب بزهور ذات لون بنفسجي بهيج ؛ قبالتها وقفت شابة في بدايات العشرينيات ، بقامتها الطويلة وجسدها الرياضي ذي القوام الممشوق ،تسرح شعرها الطويل البني المنساب على كتفيها خصلا ناعمة جميلة ، وهي تدندن بصوت هادئ شجي ،فتتداخل موجات صوتها بأصوات الطبيعة لتتبدى الروعة في أبهى صورها .

تمد شفتيها الفراوليتين لتلتقط صورا و تشاركها على حساباتها في مواقع التواصل الاجتماعي ، كأي فتاة محبة للحياة ، للجمال والشهرة ، وتملك الكثير من المعجبين الذين يبعثون في نفسها الثقة بالذات.

ذات بشرة بيضاء صافية ، ناعمة الملمس ، وعلى خديها انتثر الورد الأحمر ليتمم جمالية اللوحة ، وتحت حاجبين أسودين كثيفين مرتبين ، متقنا الرسم ، عينان واسعتان تتوسطهما لؤلؤتان غارقتان في الرماد كأن نارهما لتوها انطفأت...

وصلت الهاتف النقال بالشاحن ، وأنطلقت إلى صالة البيت حيث ينتظرها الأهل والأصدقاء لأجل الاحتفال بذكرى ولادتها العشرين ، تعبر الرواق برشاقة كأميرة في قصر ، دلفت إلى الغرفة لينبهر الجميع بجمالها الفتان فتشتعل نيران الغيرة والحسد في قلوب الحاضرات ، و يبدي لها الشباب نظرات الإعجاب علها تنتبه لأحدهم ، لكن دون جدوى ، يغنون لها بالفرنسية كنوع من أنواع الرقي _من وجهة نظرهم المحدود الأفق ،

السطحي تماما ، الدال على خلو أدمغتهم من الفكر المستنير _ متمنين لها السعادة والنجاح قولا لا فعلا . أطفأت شمعاتها بنفخة رقيقة هادئة ؛ فأنطلقت التصفيقات العشوائية ، والتهاني والتبريكات الرسمية ، المتداولة على الألسن ، تخرج من أفواههم مجردة من أي شعور صادق مع أبتسامة صفراء شنيعة ، ويغدقونها بعبارات الإثراء الكاذب و المديح الخادع والنفاق البائن .

همت بتقطيع حلواها لكنها توقفت فجأة ، وبشكل طفولي رفعت كتفيها وحاجبيها قائلة :

_ "أليس علي أن أصور هذه اللحظة وأشاركها على الانستغرام ؟"

ضحك الجميع من لطافتها ضحكات يتناثر منها شرر الحقد والحسد ، وٱنشغلوا بالقيل والقال ، والنميمة والغيبة ، وكل أصناف الحديث الفارغ هدرا للوقت والحسنات.

توجهت للغرفة خطوة خطوة ؛ وعلى غير عادتها لم تسرع ، بل أبطأت كل البطئ ، وكأنها تخشى حدوث شيء ما ، إلا أنها ٱستمرت ولم تتوقف _وليتها لم تفعل_ مدت يدها لتسحب الهاتف من الشاحن وفي أصغر جزء من أجزاء الثانية ، يظهر الشاحن على حقيقته معلنا عن جودته الرديئة ، وٱنتهاء فترة صبره على هاته الفتاة الشقية ..انفجر ..وٱنفجر معه الهاتف ونشب حريق مهول أكل الأخضر واليابس...الصلب واللين...الخشن والناعم...والفتاة الجميلة نجمة الليلة ..

حل الخريف فجأة على غرفة الربيع ، فأمست فلاة قاحلة ،وتجردت من فستانها البراق لتتلحف برداء رمادي بالٍ ، فترى الأزهار العطرة التي بها كانت تزدان قد ذبلت ، وأضحت الحديقة البهية دمارا كأن لم تغن بالأمس، و راح الموت يحوم حول كل ما سكنته حياة ، وسرعان ما فاحت رائحة الحريق تلفح وجوههم و حناجرهم في الصالة ...

وقف الجميع دون حراك ، كأن الدم قد تجمد في عروقهم فتيبست أطرافهم، وراحت أفئدتهم تضخ لترات الدم بعنفوانية وهلع خوفا _ليس على الفتاة_ وإنما من أن تبلغهم النيران فتنتهي حياتهم الفارغة ، إذ كل منهم يود لو يعمر ألف سنة يعد الدقائق في القيل والقال ، متشبثا بهذه الدنيا الحقيرة كأنما فيها خلوده.

تسابق الجميع نحو المخرج ولم يجرأ أحد على الاقتراب من غرفة الفتاة التي ظلت هناك تحترق بنار الحسرة والحزن لتركهم إياها ، فحين تحل الكوارث كل ينادي نفسي .....نفسي...

ورد 1

ككل ليلة...

أصحو فزعة أتصبب عرقا ، أرى ذاك الكابوس بمجرد أن تنسدل أجفاني ، أشعر بالنيران الملتهبة تأكل كل خلية في جسدي ، أنفاسي تكاد تتوقف ، ودقات قلبي تتسارع وجسمي ينتفض ، ومامن أحد يخرجني من هنا...

لا يزال صدى خطواتهم المتداخلة يتردد في أذني وأصواتهم وهم يصرخون ويستنجدون فارين من الحريق دون الالتفات لي ، شعرت بخيبة أمل ويأس فاستسلمت للنيران وتركتها تشبع وتنهي حياتي التي لا معنى لها لدى أحد ، لكنني سمعتها ...كانت تصرخ وتولول وتضرب باب الغرفة محاولة فتحه ...

إنها أمي ومن غيرها ..

إذن قاومي فهناك من يحبك ...هناك من يجازف بروحه لأجلك ...

فجأة أصابها سعال حاد حتى شعرت أن حنجرتها ستخرج من مكانها ، تلاه صوت آرتطام ، ثم حل صمت رهيب ..

انتظرت وآنتظرت أن تتحرك ، أن تقول شيئا ، أن تسعل ، لكن لم يحصل شيء كأنها آختفت ...!

حاولت جمع كل طاقتي والزحف نحو الباب فلم أستطع التحرك إنشا واحدا...

حاولت الصراخ عاليا فلم يصدر مني سوى صرخة مكتومة وصوت أشبه بفحيح الأفعى ...

فبكيت...بكيت ضعفي ، وقلة حيلتي ...

من دونك الحياة بلا طعم ولا مذاق ، من دونك العيش صعب وبلا معنى أماه ...وآستسلمت هذه المرة حقا ...

لم أشعر بشيء بعد ذلك إلى أن فتحت عيني لأرى البياض يحيط بي من كل جانب ؛ سقف أبيض جدران وستائر بيضاء ، سرير أبيض ...

ماهذا ألا يفترض أنني قد مت يا إلهي ...

كنت أحدق في المكان حين لمحتني الممرضة فهنأتني على قدرتي على المقاومة والتمسك بالحياة ...

عن أي حياة تتحدثين يا هذه !؟

أخبروها أنني قررت الآستسلام فلم لم أمت !؟

لم أنقذتموني دون إذن أيها الأغبياء !؟

لبثت أحدج وجهها الأسمر الملون بشتى الألوان
كأنه رسمة طفل في الروضة ، لأنتبه متأخرة
أنني أرى كل شيء من الزاوية اليمنى فقط...
طلبت منها مرآة ، فأرتسمت على وجهها أبتسامة
خفيفة أظنها بذلت جهدا في أصطناعها..
لقد أنغلقت عيني اليسرى ولم أعد أرى بها ....
ما كنت أتوقع أن يتشوه وجهي الجميل لهذه
الدرجة ؛ انغلاق عيني اليسرى وتكون كتلة حمراء
كالورم على طول خدي الأيسر ، حتى أذني
اليسرى لم تعد أذنا ،جزء لحم مشوه فقط ، أما
شعري الذي لطالما تفاخرت به فكأنه لم يكن يوما
منسابا بدلال هنا على كتفي ، وفوق هذا يدي
اليسرى أيضا أختفت كأنما بترت بسكين حادة ...
المضحك والمبكي في الأمر أن اللعنه أصابت

جانبي الأيسر فقط وهذا الأمر صعب بالنسبة لعسراء مثلي . مذ ولدت وأنا أعتمد آعتمادا كليا على يدي اليسرى في كل شيء حتى الأكل ، ولطالما نبهتني أمي لذلك ، وحثتني على التخلي عن هذه العادة السيئة ، لكنني كنت أعتبر ذلك ميزة وأفتخر به ، حتى أنني كتبت في السيرة الذاتية على الانستغرام : "العسراء اليسارية..." حتى في السياسة حشرت نفسي في طابور اليساريين ليس لأنني مقتنعة بأفكارهم التي لا أعرف عنها شيئا ، بل بدافع مبهم لا أفهمه ، أظنه مجرد وسيلة لكسب أضواء في الكلية والحياة السياسية التي لا أفقه فيها حرفا ، كنت كمن يهرف بما لا يعرف ، الآن فقط أدركت مدى الغباء الذي سيطر علي في هاته الفكرة.. !

ورد 2

مر أسبوعان على الحادثة اللعينة ، مر أربعةعشر يوما مظلما ، وست ساعات ثقيلة ، و خمس وعشرون دقيقة قاتلة على رحيل دنياي إلى الآخرة ، إني لأشعر كأنما مر دهر كامل على مقتلي ، أحاول ٱستعراض شريط ذكرياتي مع الغالية جدا على قلبي ، فتتراءى لي في الفراغ صورتنا ونحن نجلس على الأريكة ، نحتسي الشاي الأخضر بالنعناع ذي الرائحة المنعشة ، نشاهد الأخبار والكرتون والأفلام ، كالصديقتين نقضي معظم أوقاتنا معا ، نخرج معا نتسلى معا نتسوق معا ...ماتزال ضحكاتنا تتردد في أذني كلحن هادئ يرفع روحي إلى الأعالي،إلى سماء وردية أبحر في آفاقها آفاقها

أقفز من سحابة لأخرى أبحث عنها ، أسمع صوتها أشعر بأنفاسها كالنسمات تلفح وجهي ، أشتم رائحتها الزكية فتتراقص دقات قلبي بمرح ، أفتح عيني ، أمد يدي في الهواء ، أريد أن أرتمي في حضنها ، أريد أن أختبئ بين أضلعها من ضجيج العالم وغدر البشر ؛ لكن لا أراها ، روحها فقط ظلت تلاحقني لتحميني كما كانت تفعل ، أما جسدها الطاهر ذو النور الوضاء فقد آبتلعه التراب ، فأشرقت الأرض وآزينت بأزهار ذات بهجة ، يعانق عطرها قلبي بحنان كما كانت تفعل أمي ، و صدى صوتها يهمس في أذني : أحبكِ آبنتي ...

طيلة إقامتها في المستشفى لم يزرها أحد من الأقارب ، إلا يوم خروجها حين جاء عمها الذي

يكبر والدها بسنين عدة ، قد آشتعل رأسه شيبا و آرتسمت التجاعيد العميقة على وجهه الأسمر الذي تثقبه عينان محتقنتان بالدم ، تنبثق منهما نظرة قاسية ، قاتلة ، تتخفى بحاجبيه الرماديين المقرونين المتدليين كذنب الدواب .

يصيح بصوته الجهوري المزعج في وجهها بكل بجاحة وانعدام أمانة ، قائلا بنبرة ساخرة وتعبير مشمئز من شكلها الجديد :

_"لنتفق من الآن يا بنت ، قال الطبيب أن عليك إجراء عملية تجميل باهظة الثمن لأجل إصلاح هذا الوجه إن كان لايزال وجها آدميا ، ولكن لا أستطيع ، لدي قدر من المال في البنك و هو لتأمين مستقبل أفضل لآبني ، لن أغامر به لأجل عملية تافهة ، فأنت بصحة جيدة ،

وتستطيعين الوقوف على قدميك ، واليوم جئت لأصحبك للبيت ، يكفي مكوثا هنا وإلا طردوك بأنفسهم فنحن في مستشفى الدولة وليس مستشفى أبيك ."

وأنصرف مشيرا إليها بأن تتبعه ملوحا بيده في الهواء دون أن يسمع رأيها أو حتى قبل أن يسألها عن حالها ، قال ما عنده دفعة واحدة آمرا متحكما متهكما ساخرا من حالها مدمرا كل ما تبقى في كيانها المتهالك .

بعد أن عدت إلى البيت خائرة القوى ، فاقدة الأمل ، محطمة الفؤاد ، لم أكلم أحدا ولم أدخل لأي من حساباتي على مواقع التواصل الاجتماعي وبأي وجه أدخل ؟

وأي صورة جديدة سينتظرها متابعي ؟

فقدت الشيء الذي كان يجمعهم حولي...

حالة فوبيا من مواجهة العالم تقيد تفكيري ، تربط حول جسدي أغلالا تبرز منها أشواك حادة النصل تخترق كل أطرافي بوحشية ، يهلع قلبي وينتفض فتفر الدماء من أوردته وتسري في جسدي بسرعة تود الهرب والنجاة من الجحيم المستعر في صدري ، تغلي وتفور فتحرق عروقي وتذيبها أرتمي في حوض ماء بارد فيلهب ذلك جبيني ، وترتجف شفتي ، وتصطك أسناني ، فتسري القشعريرة في جسدي وكأن كل خلية فيه خائفة ، وحيدة ، يائسة ...

أعود لسريري ، أرتمي عليه كجثة محترقة علقت بها ذرات رماد ، فأمست باهتة كأنما أمضت قرنا مدفونة تحت الركام ...

منتصف الليل ...كانت تجلس على سريرها ، تضم ركبتيها وتضع عليها رأسها تبكي وتئن في صمت عندما تعالت همهمات إلى مسمعها ، تتبعت مصدر الصوت لتقف عند باب الصالة ، وقفت وأصغت تتميز الأصوات بدقة وحذر.

و فجاة ركبتاها لم تعودا تحملانها ..اتكات على الجدار لتستعيد توازنها ، كتمت شهقتها بكفهما اليمنى ، والدموع تنهمر من عينها كالودق يخرج من بين السحاب المتراكم ، وغصة بحلقها كأنها شوكة تمزق عروقها ، تحاملت على نفسها لتقف وتعود لسريرها ومخدتها وتروي لهم كيف أن أحدا لا يحبها ، كيف أنها أصبحت مكروهة منبوذة حتى ممن بقي من أهلي..

ورد 3

هل سمعت أيتها الغبية ... سيطردونك من بيت والدك بعد كل ما فعل لهم ، بعد كل الحب الذي أهديتِه لهم ، يريدون التخلص منكِ كبضاعة قديمة رثة لم تعد تناسب أثاث البيت ، كيف لم تري كل هذا الحقد في أعينهم؟

كيف استطاعوا التفريط بكِ بهذه السهولة ؟

ألهذه الدرجة يكرهونك ويبغضونك ؟

لكن ما الذي فعلته لهم يا إلهي ؟

هل أخطأت في حقهم يوما ؟

كلا لم أفعل ...أقسم أنني لم أفعل .. أحببتهم من كل قلبي ، كنت أفرش الورد تحت أقدامهم عندما يزورونا وأخدمهم بنفسي ، أحببت عمي وعمتي كثيرا ودائما كنت أتعاطف معهم عندما يحكون لي عن طفولتهم البائسة لدرجة البكاء لأجلهم

لا أزال أذكر عندما خاصم أبي عمي لأنه لم يرد مالا كان قد اقترضه منه ، وقفت في وجهه صرخت ، قلت له كيف لك أن تعامل أخاك الأكبر هكذا ، كيف لك أن تقاطع أخاك لأجل المال؟!

جرحت قلب أبي لأجلك يا عماه ...

وعندما كانت أمي تتحدث عنهم بسوء كنت أزجرها أخاصمها ، لأنني أعتبرتهم عائلتي ، فيهم رائحة من أبي ، لكن ...هم ماذا فعلوا بي؟

مزقوني أشلاء وألقوا بي للحياة لتنهش جسدي وتقتلع كبدي من جوفي ..

دق باب غرفتها فأنتفضت من مكانها ، ثم فتح بروية مصدرا صريرا يشبه أنين العليل ،لم تكن الرؤية واضحة بسبب الظلام ، دققت النظر لتلمح طيفا يتحسس الحائط

وفجأة ...سطع نور فأنغلقت عينها تلقائيا ، و شيئا فشيئا بدأت تعتاد الضوء ، فظهر لها صاحب الطيف جليا وقد تبينت ملامحه ووضحت .

ورد :

_ندى ؟!

ندى:

_ماهذه الحالة ؟! (بنبرة ساخرة)هل رأيت نفسك في المرآة ..؟!

ثم راحت تمسح الغرفة بعينيها الغامقتين ، وعلى شفتيها أبتسامة ماكرة ، أخذت شيئا من على المكتب المتفحم الذي فقد ملامحه وبدا كقطعة خشب بالية كصاحبته..

ندى :

_خذي ..أنظري للحالة التي وصلت إليها يا ...

جميلة العائلة ..(أتبعت كلامها بضحكة يتناثر منها الحقد و التشفي)

رأس أقرع ، ووجة مشوه ، وعين منتفخة حمراء لاتزال دمعات خائفة تختبئ بين جفونها وتتمسك برموشها ، وتحتها نسج الليل ظلاله بخيوط داكنة باهتة ؛حتى شفتاها الفراوليتان تشققت أطرافهما و شحب لونهما ، وبدتا كعجوزتين كست التجاعيد ملامحهما .

نظرت طويلا لهذا الوجه البائس فأشتعل الغضب في صدرها ، لعنت نفسها ، و حظها الأسود ، وألقت بالمرآة تجاه الفتاة فانكسرت وخدشت خدها ، ضحكت بأعلى صوتها بشكل هستيري وهي تنظر نحو ندى التي تمسك خدها الدامي

_لقد أصبح جميلا ....يناسبك ...ولون الدم مبهج يشفي غليلي ...

ثم اتجهت نحوها بحركات بطيئة وأطراف مخدرة وخطوات متداخلة كال"زومبي" ، أمسكت جزءا من المرآة المكسورة وأردفت :

_ هل أرسم خطا آخر على الخد الثاني ...أم على رقبتك الرقيقة يا ترى...؟

تراجعت ندى خطوات إلى الوراء وهي ترتجف خوفا ، و تكاد عيناها تخرجان من محجريهما هلعا ثم آستدارت لتركض وهي تصرخ وتنادي والدتها .

صراخ أحد ما أيقظني ، لأجد نفسي واقفة وبيدي قطعة زجاج حاد الجوانب كنت أضغط عليها بقوة إلى أن شقت باطن كفي فانفجرت الدماء

وأغرقتها ، أرعبني منظرها فرميت هذا الشيء

ووقعت أرضا غير مستوعبة لما حدث. حاولت تذكر ما حدث لكنني فشلت ، جزء من شريط الذاكرة مفقود ، آخر شيء أذكره هو وجهي في المرآة ثم بعدها فقدت الاحساس بما حولي .

فاجأني دخول عمتي علي والشرر يتطاير من عينيها ، لم أفهم كثيرا مما قالته فقد تداخلت كلماتها وتلعثمت ، لم يعلق في ذهني سوى آخر كلمة قالتها : لقد جننتِ..

ثم رحلت..

لبثت مدة طويلة أحملق في الفراغ الذي كان يشغله جسد عمتي السمين بنظرة بلهاء ، وصوتها مازال يصرخ في أذني : لقد جننتِ ..لقد جننتِ

أنا ورد..

أجمل البنات بلا منازع ، الطالبة المبدعة ، الأنيقة دوما ، جننت ..؟ فقدت عقلي ؟!

أجل لقد جننت ..!

أنتم من فعلتم بي هذا ، أنتم خدعتموني ، جعلتموني أكره اليوم الذي ولدت فيه ، كرهت حياتي التي عشتها بين أناس كريهين مثلكم ، كرهتكم ، كرهت البشر كلهم ، كرهت الحياة...

ولابد من حل لإنهاء هذه المهزلة...

كم انت تعيسة وبائسة يا ورد...!

تصرخ إلى أن يبح حلقها ،شهقاتها المتتالية وتسارع دقات قلبها ودموعها التي لا تتوقف

تدمي القلب حسرة عليها لكن أحدا لا يهتم لها ؛

مضت ساعات وهي على حالها هذا إلى أن أغمى عليها ..

لترقد في سبات لايكاد يهدأ ثم تصحو فزعة تتصبب عرقا وتتسول رئتاها جزيئات الأوكسجين بمشقة ..

كيف لها أن تنجو من هذا الجحيم؟

كيف لها أن تنقذ كبرياءها ؟

كيف لها أن تنتقم من نفسها وممن حولها؟

توقفت كأنما تذكرت شيئا لترسم على وجهها ٱبتسامة باردة ، و نظرة غريبة..

فتحت أحد الادراج وٱلتقطت شمعة ، تطلعت حولها و قالت :

_لم لا نحتفل بعيد موتي هذه المرة أيتها الغرفة الرمادية ...؟!

ثم ٱنطلقت في ضحك هستيري ممزوج بالدموع الحارقة...

أشعلت الشمعة وهمت بإلقائها على السرير بيد ترتجف كأوراق شجر الخريف ، وهي تنظر يمنة ويسرة بملامح خالية من أي تعبير ، وتتمتم بعبارات غير مفهومة متداخلة دون معنى ؛ ليكسر فجأة هذا الصمت المدوي رنين هاتف البيت في المطبخ ويشل حركتها ، وضعت الشمعة على الطاولة وأنطلقت كالسهم نحو مصدر الصوت ، وهي تردد إنه أبي ، أبي يتصل ثم تصرخ وتنادي:

_أمي ...إنه أبي ..أبي يتصل ...لقد عاد...لم يمت ...ألـ..ألم أخبرك أنه حي ...

كانت تعلو وجهها مسحة من السرور والحماس لتتحول إلى ضحكة بلهاء بعد أن سمعت صوت المتصل ..

لم تنبس بكلمة ..ظلت تصغي فقط ..ثم أنكصت رأسها من خيبة أمل و فرحة خادعة..

_ألو ...ألو ...أللووو...أتسمعني ...؟؟

أهذا بيت ورد...؟! ألو...أللووو...

كان ذاك الصوت مألوفا ، صوت رجولي خشن وهادئ، صوت لطالما أحبته وعشقت صاحبه ، لوهلة تذكرت حبيبها لوهلة ظنت أن الحياة ستبتسم لها فهذا الاتصال الذي آنتظرته منذ أشهر ، لرب هذه الضارة تكون نافعه...

أجابت بصوت مندفع والدموع تتسابق لتنزلق على خديها راسمة أخاديد متعرجة :

_إيااااد...؟أنت إياد..؟ إياد أخبرني الحقيقة هل ماتت أمي ..هل سيطردونني من بيت أبي ...؟

إياد أرجوك أخبرني...قل إن ذلك مجرد كابوس..

رد بصوت مرتفع يوازي صوتها محاولا تهدئتها :

_ورد...إهدئي يا عزيزتي ...أرجوك

اهدئي...سأخبرك لكن إهدئي..حسنا...؟

ردت بصوت مستسلم :

_حسنا..

فأجاب بصوت هادئ :

_جيد....إسمعيني جيدا لن يستطيع أحد طردك أو إيذاءك سأحطم من يقف في وجهك ...أنت لست وحيدة أنا معك منذ اليوم ...لن أدع أحدا يمس شعرة منكِ..سأنقذكِ منهم سأتـ...سأتزوجك وأحميك من كل شيء...(بصوت متردد)هذا إن وافقت ..

بدأت دقات قلبها تتسارع وخيل إليها كأنها ملكت الدنيا

فٱستسلمت لعاصفة المشاعر التي طارت بها

بعيدا إلى دنيا الأحلام الوردية ، ليوقظها صوته

الدافئ من أحلام يقظتها :

_ألو...ورد..؟

أجابت بصوت ناعم يكسوه الهدوء والطمأنينة :

_نعم أسمعك..

تنهد بعمق وقال:

_ورد...اشتقت إليك كثيرا ..

أدركت الآن أنها أسعد إنسانة على الأرض ...

فأجابت بٱستسلام أكثر للهوى ..

_وأنا..(بصوت خافت وخجول)

أطلق إياد ضحكة رنانة تراقصت معها دقات قلبها

قائلا :

_ لم أسمع..

فضحكت و سرى السرور في أساريرها ، وغنت العصافير على شباكها ، وشذت بأعذب الألحان ، وكشفت الشمس نقابها وأطلت على غرفتها مرة أخرى تنثر بريقها على أركانها الحزينة لتحيا من جديد ...

ورد 4

أزهرت ورد من جديد ؛ وها هي تطل بفستان قرمزي أنيق وتدخل الكلية بثقة رافعة رأسها عاليا ، تسير برشاقة كمشية الغزال ، تتجاهل الأنظار التي تتتبعها. فاليوم ستبدأ قصة حبها....

أجل اليوم ستبدأ قصة حب جديدة في هذا العالم ؛ وأجزم أنها ستكون من أنجحها ، ستتوج مشاعرنا الصادقة بزواج أسطوري و سأحكي لأحفادي كيف تحديت كل شيء وتحملت المصاعب لأجل أن نكون أنا و جدّهم عشا دافئا بالرحمة والسكينة..

تجاوزت الجميع ، لم أكن أرى أحدا غيره ، بطوله الشاهق وجسده القوي وٱبتسامته الساحرة،لمحته من بعيد فركضت كالطفل الصغير يلتقي والده بعد فراق طويل...

ارتميت داخل حضنه وتشبثت به بقوة كالغريق يمسك بطوق النجاة من بين الأمواج المتلاطمة ، أحسست بدفئه وسرت الطمأنينة في عروقي تعانق كل كرية دموية وتدفئها ، فعمّت أطرافي السكينة وهدأ قلبي ليزهر أمانا وحبا وفرحا ، و تشق البسمة المشرقة طريقها على شفتي بعد طول غياب...

أمسك بكتفي بكفيه بلطف وأبعدني ، وقعت عيناه على عيني فغصنا في سجال عميق ، عاتبته ووبخته على تأخره ، ثم عفوت عنه لأني أحبه..

أحبك بكل ذرة في كياني ، أنت خلاصي و نجاتي ضمني بين أضلاعك لأحتمي من زمهرير الشتاء و قسوة البشر...

”يا نارا تجتاح كياني

يا ثمرا يملأ أغصاني

ياجسدا يقطع مثل السيف

ويضرب مثل البركان

قل لي ...

كيف سأنقذ نفسي من أمواج الطوفان ؟

قل لي...

ماذا أفعل فيك ؟

فأنا في حالة إدمان

قل لي ما الحل ؟

فأشواقي وصلت لحدود الهذيان..“

"نزار قباني"

لكني شعرت أن عينيه تقولان شيئا آخر ، شيئا

فشيئا بدأت أفهم آندهاشه وتفاجأه بل وصدمته !

فأنا لم أخبره بما حصل لي ، وقفت للحظة وتركت له المجال ليرى ما صنعته بي النيران ...

"أيا حبيبا خذ حقي من تلك النيران..

أوليس هذا وعدك بالأمس أم أنك مخلفه ؟!

أم أنك تنساني ...؟!

أم أنك تلعب لعب الشيطان ؟!

لم تقتلني ؟

أولست تهواني..؟!"

"نوها آبنة الحسين"

انتظرت منه رد فعل تأسفا لأجلي ، عناقا لتطييب خاطري عبارة لرفع معنوياتي...حتى شفقة أو آشمئزازا..لكنه ولى مدبرا ولم يعقب...

شددت ذراعه ليسحبها في حركة سريعه كأن تيارا كهربائيا لامسه...!

يا أيها الذي أحببته بكل ذرة في كياني ما أنت

فاعل بي؟!

أين الحب والهيام الذي أثملتني به أمس...؟!

أم ذاك ليس إلا كذبا و نفاقا..؟!

أم ذاك ليس إلا لهوا و خداعا..؟!

كنت وحيدة،بشعة،بائسة،يائسة؛ فشعرت بالأرض

تدور حولي ، يحدق الجميع بي وهذا يدير ظهره

لي..ليتك يا أرض تنشقين وتبتلعينني ...

ليت قوة سحرية تخفيني عن أنظارهم ..

أنتم ! كفاكم سخرية مني...!

كفاكم ٱستهزاء بمشاعري..!

كفاكم ٱفتراسا لكرامتي وتدميرا لكبريائي..!

يا أيها الواقفون..إلى ما تنظرون...؟!

توقفوا عن قتلي بنظراتكم ..!

توقفوا عن همهماتكم...!

كفاكم تنكيلا بكرامتي وأكرموني بدفن في مقبرة النسيان...!

ورد 5

فرت من الكلية كمن يفر من شبح وركبت الحافلة ؛ كانت تقف في أحد جوانبها منكسرة الخاطر محطمة الفؤاد ، شاردة الذهن ،شاحبة الوجه ،تتكئ برأسها على العمود الحديدي لتقف أمامها سيدة بلغت من العمر عتيا وضعت شيئا في كفها بسرعة وٱنصرفت، بحركة بطيئة تفقدت ما أعطتها السيدة لتجد مبلغا من المال قليل ، صدقة...!

هنا ٱستشاطت غضبا ، وٱنفجرت براكين الألم والحزن بداخلها ، وراحت تضرب المرأة كيفما ٱتفق ، لا مبالية فلم يعد ثمة شيء آخر ستخسره فمن لا يملك لا يخسر..

ألهذا الحد أصبح العالم قاسيا عليك ياورد؟!

ألهذا الحد أصبحت مثيرة للشفقة؟!

ألهذه الدرجة لا يستطيع الإنسان فهم أخيه

ٱلإنسان؟!

عندما يعاملنا العالم بهمجية فإننا نتحول لأشخاص شرسين متوحشين ، ببساطة نعامل المجتمع كما يعاملنا، و لا يكون ثمة إلا كبش فداء ، عنصر وحيد نفرغ فيه شحنات الظلم والطغيان والهمجية التي غذانا إياها المحيط..

صدقا لو أخبرني أحد أن الفنانة المبدعة ورد مثال الصلاح والرقي ، ستدخل السجن يوما لضحكت إلى أن تدمع عيناي ؛ وها أنا ذا اليوم حبيسة بتهمة لا اذكر عنها شيئا ، حقا لا أذكر...

عندما روى الشهود الحادثة كنت كمن يسمع ما حصل لأول مرة ؛ لوهلة كاد القاضي أن يصدق أنه لا دخل لي بالقضية لولا فاعلي الخير الذي صوروا المشهد ونشروه على مواقع التواصل الاجتماعي..

وفق الدستور المغربي ؛ فإن عقوبة الاعتداء بالضرب على أحد تتوقف على مدة العجز المترتب عنها ،ومن حسن حظي ـويا للعجب !ـ فترة عجز السيدة لن تتجاوز العشرين يوما كما أكد تقرير الطب الشرعي ، و نظرا لحسن سيرتي و سوء حالتي النفسية والجسدية البادية للقاصي والداني قرر الحكم علي بالسجن لمدة شهر كامل نافذة مع غرامة مالية قدرها 500 درهم .[1]

[1]/الفصول *400* إلى *404* من القانون الجنائي المغربي.

سأمكث هنا وحدي بلا أصدقاء أو أهل يساندونني فقد وجدوها ذريعة للتخلص مني..

لا أزال أذكر نظرة الحقد والتشفي التي رأيتها في عيني عمتي عندما جاءت برفقة عمي ليحطموا ما تبقى مني ، كانت مسرورة لما حل بي وقالت أن المكان يناسبني بل تمنت لو حكم علي بسنين ...!

بالنسبة لي ؛ فالأمر سيان عندي ، سواء بقيت هنا أو في الخارج ، حريتي مقيدة بأغلال من فولاذ ، مقيدة بأنظارهم التي تتبعني أينما حللت ، تخنقني ، تذبحني من الوريد إلى الوريد .

أينما وليت وجهي أرى نظرة الشفقة والاشمئزاز فأقتل ألف مرة في الثانية لكن لا أموت...

اتّحدت كل قوى الإبادة ضدي ؛ فالعالم يقتلني بالتهميش والنفور مني ، ونفسي تجلدني بالإحباط و اليأس .

لو كان هذا القلب صخرة من أعتاها و أصلبها لآنفلق و تفتت لذرات ...

تجلس و تراقب السجينات وهن يغادرن لمكالمة أقربائهم أو للقائهم ، بينما هي تظل وحيدة هناك منعزلة عن العالم ،تخربش على الورق دون فكرة محددة.

في الأصل لم تكن وحيدة ؛ فعلى السرير المقابل لها تجلس شابة في الثلاثينيات ، ذات شعر رمادي طويل ترفعه للأعلى بينما تأبى خصلات متمردة إلا أن تنساب على وجهها تداعب ملامحها الفريدة متقنة الرسم التي تجعلها تبدو كأنما فرت من

أسطورة في الزمن الغابر .

تلتزم الصمت طول الوقت ، ولا تتحرك كثيرا

فتشعر كأنها لوحة زيتية ثلاثية الأبعاد رسمها فنان مرهف الحس...

وخلف نظرتها الجامدة ألم مستعر ، وماض مر ...

كنت أجلس على سريري شاردة الذهن ، خالية الخلد ، متبلدة المشاعر ، أخطط في الهواء بأناملي أحاول رسم المرأة التي تجلس قبالتي غير مبالية من أن تنزعج..

وفجأة وجدتها تجلس بجانبي كأن قدرة سحرية حملتها من مكانها إليّ دون أن أشعر ؛ إلتزمنا الصمت لدقائق كل منا ينظر أمامه ، كل منا غارق في دوامة أفكاره ،

يصارع تلك القوة الخفية التي تحاول جذبه من واقعه إلى عالم أحلام اليقظة .

تنهدت بعمق ، وقالت :

_إحكِ لي ..

مع أول حرف آغرورقت عينا ورد بالدمع ، ارتفع نحيبها و تسابقت شهقاتها ، وتلعثمت كلماتها ، صرخت عاليا و بكت كما الأطفال ؛ كانت على أهبة الآستعداد لأي مبادرة من أي شخص ، لتطلق العنان لمشاعرها المكبوتة التي تضيق صدرها ، وتثقل كاهلها . كانت تنتظر من يشعر بها لا من ينصحها ، من يستمع لها فقط دون أن يعقب...

حكت كل شيء وبكت وآشتكت ، حكت عن غدر الدنيا وخذلان الأحباب ، روت عن وحدتها القاتلة

بالدونية والاحتقار وكيف قسى العالم على قلبها الرقيق الرهيف ، فآرتوت بعد جفاء أيام عجاف .. لم تبد "رمادية الشعر" أي ردة فعل ، لم تنبس بكلمة ، سمعت وآستمعت وأصغت بآنتباه ، لتختتم المشهد بحضن دافئ عامر بالمشاعر الفياضة..

ورد 6

في الفترة التي قضيتها في السجن تحسن حالي كثيرا ؛ هنا الأشخاص ليسوا كمن في الخارج ، فجميعهن يعرفن حق المعرفة شعور الإقصاء والتهميش ، لذا تجدهن هنا كالبنيان المرصوص ، يساعد بعضهن بعضا دون مقابل ، متجردات تمام التجرد من قناع المثالية والصلاح..

تحدثك إحداهن كيف قتلت فلانا وهي تضحك إلى أن تبدو نواجدها ؛ ومع ذلك فأغلبهن لسن مذنبات في نظري ، لأن أفعالهن جاءت كرد فعل على ظلم الآخرين ، فٱنقلبت المسرحية وتبودلت الأدوار فأصبح الجاني ضحية والضحية جان..!

هكذا هي الحياة غير منصفة أبدا ، لكن ثمة إله عادل يوما ما سيحكم بيننا بالحق ، وينال الظالم عقابه...

مرت مدة الحبس أسرع مما تخيلت..ولومكثت هذه المدة في الخارج لكنت لا أزال في الساعة 3 من يوم الحادثة.

لا أبالغ ولكن سرعة الزمن حقا تتغير من مكان لآخر ، من ظرف لآخر .كان قد أخبرنا بذلك أستاذ الفيزياء ؛ لكن الفيزياء نفسها لا تستطيع تفسير هكذا أمور لأنها أقرب للتجريد من التجريب .

وهنا أيضا الحياة ليست عادلة ، فلِم ينتهي يوم جميل ممتع بسرعة بينما آخر ممل حزين يمتد وقتا أطول... ؟

كنت مشتاقة لمنزلنا ؛ وعندما عدت إليه ٱنبهرت ، كان يبدو رائعا من الخارج ، فقد تم إصلاحه وطلاؤه ، وعاد إلى سابق عهده ، أتراه هدية من عمي لي ؟!

صعدت الدرج بخطوات تسابق بعضها ، طرقت الباب بلحن ٱعتادت عزفه في كل مرة تعود من الكلية ، والآن ستفتح أمها الباب كما في الماضي تماما ، أغلقت عينها لتنسجم في عالمها الوردي أكثر ، لا تريد أن تستيقظ تمنت لو أن كل ما عاشته ليس إلا كابوسا وحاولت تصديق ذلك ليوقظها صرير الباب الحديدي الذي ألفت صوته ففتحت عينها لتجد فتاة في العشرينيات من عمرها يبدو عليها أثر النعاس ، تراجعت ورد خطوتين للخلف وهي تتطلع في رقم الشقة ،

ثم نقلت بصرها إلى الفتاة وهي تسألتها :

_من أنتِ !!؟ما الذي تفعلينه هنا ؟

بادلتها الأخرى بنظرة بلهاء تدل على عدم الفهم ، فأجابت بصوت متثائب :

_إنه بيتنا..من أنت ؟!

سقطت كلماتها كالبرق على قلب ورد ، أيعقل أنهم فعلوها؟ أيعقل أنهم باعوا بيت والدها!؟ الشيء الوحيد الذي يحمل ذكرياتها في كل ركن من زواياه ؟!

تسللت الدموع من عينيها و تدفقت كالسيل على وجنتيها ، وضعت كفها على شفتيها المرتجفتين ، وهي تتراجع للوراء فٱستدارت وٱنطلقت كالسهم لبيت عمها.

طرقات قوية ، وأنفاس حارة تكاد تحرق ما حولها تصرخ بصوت ممزوج بشهقات متتالية ، و بقلبها تدق طبول الكره والغضب ..

فتح الباب لتطل منه بنظراتها الحاقدة و ٱبتسامتها الماكرة المعهودة ، "ندى"!

" ورد": _أين عمك ؟

"ندى": _منذ متى أصبحت قليلة الذوق يا ورد ، أنسيت الأصول بهذه السرعة ؟! آه نسيت أنك خرجت لتوك من السجن ..سلامتك يا ٱبنة الخال هيا تفضلي ...يجب أن أضيفك شيئا أولا ..

قاطعتها ورد بنفاذ صبر :

_هل عمك بالبيت ؟

أجابتها وهي تتلاعب بخصلات من شعرها:

_لا ..لكن إن كنت تودين السؤال عما حدث لبيت والدك يحزنني أن أخبرك أنه قد تم بيعه ..

قاطعتها ورد بغضب :

_كيف باعوه دون موافقتي !؟ هل زوروا الأوراق أم أعطوا رشوة أم ماذا ؟! أي خطة حقيرة أتبعوها... ها ؟!

ضحكت ندى بصوت عال وأردفت :

_أما زلت تشاهدين الأفلام يا عزيزتي؟!

هم لم يخططوا لأي شيء فقط وضعوا قرار التنازل عن البيت وكل ممتلكات والدك بين الأوراق التي أمضيتها عند خروجك من المشفى ، و الممرضة التي تكلفت بالأمر حصلت على " حلاوتها " ، هذا كل شيء ...!!

ورد 7

كان تسير تحت المطر تائهة ، حائرة ، خائرة القوى ، تضم جسدها الهزيل بذراعيها المرتجفتين علها تشعر بالدفء والأمان قليلا ، هذا أول شتاء تقضيه وحيدة بعيدة عن بيتها ، ومدفأتها الحديدية وحضن أمها الغالية ..

توقفت عند بناء صغير مبهج ، كتب أعلى مدخلها "مقشدة الصباح ".

بمجرد أن دلفت إلى الداخل داعبت أنفها رائحة الشاي الأخضر بالنعناع ، فأغمضت عينها وراحت تستشعر تلك اللحظات عندما كانت تستيقظ صباحا على تلك الرائحة المنعشة ، وتركض للمطبخ بمرح لتضم والدتها وتقبل رأسها وتجلسا سوية لتناول أرقى فطور في نظرها .

فتحت عينها لتشد أنتباهها هذه المرة الجداريات الرائعة ، رفعت ناظريها للأعلى لتجد السقف كذلك مزخرفا ، و مطليا باللون السماوي ، وفي إحدى زواياه شمس تتدلى منها أشعة براقة على الجدران ذات الألوان البهية ، فبدى المكان إسما على مسمى :" مقشدة الصباح "

تصطف على الجوانب طاولات بلاستيكية صغيرة ، دائرية الشكل ،بجانب كل منها كرسي بلاستيكي بنفس لونها .

و في الأمام طاولة مستطيلة وضع عليها كل أنواع الخبز و "الحرشة" و"الملاوي" و"البغرير" وكل مستلزمات الفطور ، وراءها وقفت سيدة في الأربعينيات من عمرها ، ليست بالجميلة ولا بالقبيحة تحيط بوجهها المستدير الأبيض هالة من

من نور رباني .

كانت منهمكة في إعداد صينيات الفطور للزبائن المنتظرين ، عندما لمحت ورد تقف في أحد أركان الدكان مترددة ، توزع نظرات خجولة على أطراف المكان ، تقدمت إليها وبآبتسامة مشرقة سألتها :

_هل تريدين شيئا يا فتاتي الجميلة؟!

تفاجأت ورد وفرت الكلمات من لسانها ، أحقا لا تزال جميلة أم تلك ليست إلا مجاملة من صاحبة الدكان وبعد أن تعلم أنها لا تملك ريالا ستطردها خارجا ؟

آبتلعت ريقها وآستجمعت قوتها وقالت :

_أرسلتني "شهرزاد " إليك ..

تفحصت السيدة ملامح ورد بدقة أكثر و تساءلت :

_أين ٱلتقيت بشهرزاد ؟!

ردت ورد بٱندفاع :

_في السجن ، هي أخبرتني أن..

قاطعتها السيدة وسحبتها من ذراعها إلى غرفة داخل الدكان لم تكن ورد قد لاحظت وجودها من قبل ؛ كانت أكياس الدقيق و قنينات الزيت تملأ المكان بعشوائية ، وعلى الأرض تناثرت الأواني بشكل فوضوي عكس الغرفة الخارجية ، وقفت قبالتها وسألتها بجدية أربكت ورد :_كيف حال شهرزاد ؟

أجابتها :

_بخير ، تقول أنها ٱشتاقت للصباح ...كنت أظنها في البداية تقصد شوقها للحرية لكنني أدركت الآن أنها تشتاق لهذا المكان الرائع ..

جلست السيدة على الكرسي وأنكست رأسها ، ثم أطلقت تنهيدة عميقة وقالت :

_لا ..إنها تقصدني ..(رفعت رأسها ومدت يدها لورد كي تصافحها)أنا صباح ..

صافحتها ورد بآبتسامة خجولة :

_و أنا ورد..

أردفت "صباح" :

_شهرزاد لم تحب هذا المكان قط ..لأن زوجها أحضرها مرغمة كي تعمل هنا معي بينما هي لم تكن تحب العمل ، كانت فتاة مدللة تحب الحياة واللهو والمرح ، لكن المجرم سلبها شبابها و قتل سعادتها ..

جلست ورد بجانبها وأصغت بآنتباه وفضول لتعرف ما الذي أوصل شهرزاد إلى حالة الصمت والانعزال ..

أكملت "صباح " بحسرة :

_لا أزال أذكر أول يوم جاءت فيه ، كانت غاضبة ، وتفتعل المشكلات كي أطردها ، لكني كنت أعرف زوجها وأعلم أنه سيأخذها للعمل في مكان أسوء ، فكنت أغض الطرف عنها ، وٱستمر الحال هكذا إلى أن أصبحنا صديقتين نتبادل الهموم والأحزان.

ثم صمتت "صباح" وأغلقت عينيها بمرارة ،

فسألتها "ورد" بترجٍّ :

_أكملي من فضلك يا سيدة سعاد ..

حدجتها "صباح" بنظرة غاضبة وقالت :

_لست سيدة ...نادني سعاد..

شعرت ورد بالخجل فٱعتذرت ..

ثم عادت "صباح" لإكمال قصة الغامضة شهرزاد ..

_أخبرتني أنها تزوجت منه رغما عن والديها فغضبا كثيرا ولم يعودا يسألان عن حالها ، عاشت معه اول سنة في الجنة ، كانت دائما تبحث عن طريقة للعودة بالزمن كي تعيش تلك الأيام مرة أخرى ، كنت أسخر من حماقتها ، لكن في الواقع كلنا نتمنى لو نجد شيئا يعيدها لفترة زمنية ما ونعيشها من جديد ..

ثم تنهدت بعمق و ألم ..وأكملت :

_بعد سنين تدهورت حالة زوجها وفقد عمله البسيط لأنه أصبح سكيرا ، وأصبح يرتكب الأخطاء في العمل فطرد .

كان يفرغ في جسدها الهزيل غضبه وفقره و ضعفه ، وكانت تقابل ذلك بالصبر والتجلد .

مرت خمس سنين ولم تنجب فأصبح يعنفها بسبب و بلا سبب ويشتمها و يعيرها بالعقم مع أنها زارت كل الأطباء والقابلات والكل أجمع أن ليس بها شيئا ، لكن مع ذلك أحتملت لأنها كانت تحبه ولأن أهلها ولوا ظهرهم لها .

لا أزال أذكرها وهي تجلس في مقعدك هذا تحكي لي وتبكي بحرقة ..

وفي إحدى الليالي الشتوية ، صعد زوجها للسطح يدخن سيجارته ويراقب المطر ، فتبعته بالمظلة وجلست بجانبه ، ضمت ذراعه ووضعت رأسها على كتفيه ، أخبرتني أنها تمنت لو أن الزمن توقف عندها ، أرسلت لي حينها رسالة كتب فيها "ليت الزمن يتوقف عند هذه اللحظة وأنا بين ذراعي حبيبي"

أجبتها مداعبة :"هل تغيظينني لأنني لم أتزوج "

فأرسلت وجوها ضاحكة ...!

أدركت أنها كانت سعيدة للحد الذي لا حد له فهي ناذرا ماكانت ترسل الوجوه التعبيرية إلا عندما تكون في حالة جيدة ..

لكن ما حدث بعدها فظيع جدا ...وكأنها رفعت لسابع سماء ثم ألقيت لسابع أرض بقوة فكسرت سعادتها ، وعلقت ٱبتسامتها بين قضبان الدموع الحارقة ..

ردت ورد بهلع :

_ماالذي حدث؟!

نظرت إليها "صباح"بعينين يغرقهما الدمع ، وقالت:

_أخبرته أن الطبيب عرض عليها أن تصطحبه للعلاج لربما يكون هو السبب في تأخر مولودهما ،فكانت

ردة فعله عنيفة كالعادة ؛ دفعها على الأرض بقوة و وضع كلتا يديه حول عنقها محاولا خنقها وهو يكيل لها الشتائم والدعوات ، كان فاقدا للشعور تماما ،فكادت تلفظ أنفاسها لو لا أنها دفعته إلى الخلف ، لتنزلق قدماه بالمظلة ويقع من على السور الذي لا يتجاوز طوله الاربعين سنتيمترا ! سقط من الطابق السادس ..!

نزلت إلى الأسفل وهي تظن أنه يمازحها أو يحاول إخافتها كانت تهزه بيدين مرتجفتين ، لكن عندما تبينت يديها و وجدتهما غارقتين في الدم ، جن جنونها وراحت تصرخ و تقول :

_أنا قتلته ...أنا قتلته..

كانت كل من سعاد وورد تبكيان بحرقة على حالة صديقتهما البريئة ...

فقامت "صباح" بتثاقل ، مسحت دموعها بمنديل دسته في جيب جلبابها التقليدي ، ثم أخفت خصلات قصيرة سوداء تسللت من حجابها خلسة ؛ وأثناء خروجها قالت بصوت جاد وخافت :

_بعد أن زرتها في اليوم التالي في مقر الشرطة لم أتعرفها ، فقد..أصبح شعرها الذهبي اللامع رماديا كعجوز في الستين ، وخبى بريق عينيها ، وتيبست شفتاها ، فبدت كما رأيتِها ...ولم تحكِ ما حدث لأحد سواي ...ومادامت قد فتحت قلبها لكِ فهذا يعني أنها لن تمانع بمعرفتك للقصة ...

أرجو أن تتعظي يا ورد..

صعدنا للأعلى ، حيث يوجد بابان خشبيان متناظران التي على اليسار غرفة صباح ، والتي على اليمين ستصبح غرفتي ، سأسكن هنا وأعمل معها ...

كانت الغرفة بديعة فريدة ، أول شيء يشد الأنتباه هي النافذة الخشبية الواسعة ، وبقربها كرسي خشبي هزاز.

لا يوجد أثاث كثير في الغرفة ، مجرد طاولة دائرية الشكل ، وخزانة قديمة بجانبها سرير رث.

نظفت المكان جيدا ، وغسلت غطاء السرير والمخدة ، ونشرتها على النافذة لأفاجئ بإطلالتها الرائعة . يبدو جبل "زلغ" من هذا المكان عظيما، قريبا، يكسوه اللون الأخضر البهي ، وتطل الشمس بأستحياء من بين الغيوم الرمادية فيتساقط نورها على الأرض وينعكس على حبات المطر العالقة بالعشب فتبدو كبلورات براقة ، و تتناثر أشعتها على صفحة "الوادي الحار" فتتلألأ مياهه لتتم جمالية اللوحة ؛ شدني المنظر كثيرا و سرحت في إبداع الخالق حتى غفوت .

ورد 8

قبالة النافذة ذات الإطلالة المبهجة ؛ كانت تجلس على الكرسي الهزاز، وعلى ركبتيها شال ب بنفسجي محبوك من الصوف _آخر ما تبقى من أمها الغالية_تلفح وجهها نسمات الهواء الباردة التي تتراقص و الستائر الزهرية الشفافة برشاقة وخفة ؛ فتحت عينها لتتساقط أشعة شمس العشية الذهبية داخلها فيشتعل رمادها من جديد وتنعكس صورة "جبل زلغ" داخل بؤبئها كلوحة فنية رسمت من نور...

هذا الجبل الذي كان ملهمها منذ الطفولة ، والذي لطالما اتخذته صديقا وحكت له أسرارها ، هذا المنظر لا يعوض بثمن ...!

تفكرت ، تأملت في خلق الله ، ثم تمتمت :

سبحان الله.. !

كانت تلك أول مرة أنام دون أرى ذلك الكابوس ؛ لكم شعرت بالارتياح وكأن سلسة جبال أزيحت عن ظهري ؛ ترى ما السبب ؟!

آنذاك كان صوت " العيون الكوشي" يصدح ويتردد في البناء فيغسل القلوب من الدرن و يكسر الأغلال التي تقيدها .

كانت تلك أول مرة تسمع "ورد" القرآن لأجل الأستمتاع فقط ، فناذرا ماكانت تسمعه في

الماضي ، فهي كقريناتها تفضل الأستماع للمغني فلان وعلان ، لكنها الآن ذاقت طعما آخر للقرآن ، روت روحها حتى أرتوت ، ففاض الإيمان على قلبها و تدثر بالطمأنينة بعد أيام نحسات...

كنت لا أزال جالسة أتأمل الشمس الصفراء الفاقع لونها التي تسر الناظرين، و أستمع لآيات سورة البقرة العظيمة في جو روحاني منعش عندما طرق باب الغرفة بدقات رقيقة متتالية ، قمت من مكاني بحيوية وفتحته لأفاجئ بزميلتي في الكلية"نهال" ..ثم لوهلة تذكرت أنها نفس الفتاة التي أصبحت تقطن في بيتنا القديم .. كيف لم أنتبه ساعتها...؟!

نظرت إلي ببلاهة ثم ضحكت بخفة وهي تقول :

_أنت غريبة حقا يا ورد ...لم غادرت قبل أن تقولي شيئا ثم بدا عليها القلق فجأة و أردفت :

_لقد أفزعتني يا فتاة ..كنت تبكين وتصرخين ولم أستطع أن أفهم شيئا ، فذهبت لمنزل عمك أبحث عنك فأخبرتني ندى الحقودة بكل شيء ..

ثم صادفت "صباح" صاحبة المقشدة وتبادلنا أطراف الحديث فأكتشفت أنك تسكنين هنا ...المكان بديع وجميل ..."

أضحكني أسلوبها الطفولي المرح المتقلب ، مرة ضاحكة ومرة باكية ، كانت تقلد "ندى" في حركاتها وهي تروي لي ما قالته لها ، لقد ضحكت من أعماق قلبي فعلا..

حكيت لها كل شيء ، فهي لم تكن في حفلة عيد ميلادي لأنها كانت مسافرة ..فأبدت تضامنا إنسانيا خاليا من نظرة الشفقة أو الأشمئزاز من شكلي بل وضمتني لصدرها وهي تذرف دمعات سخية تساوي بالنسبة لي الدنيا وما فيها ، فأن يبكي لأجلك شخص يدل يعني أن مكانتك في قلبه كبيرة ..

نهال هي من أبسط الشخصيات التي يمكن أن تصادفها في حياتك ، ضحوكة ، مرحة ، ثرثارة ، وطيبة القلب ؛ لاتزال البراءة تشع من عينيها كطفلة في الخامسة من عمرها..

أخبرتني أن الأستاذ "إدريس الفاسي" يتساءل عني كثيرا ، وحاول الوصول لرقمي لكن لم يستطع ، وأنه أصر على كل طالب يراني أن يأخذني إليه ..

ذاك الرجل الطيب الذي أعتبرته كوالدي دائما ، كان بجانبي في كل خطوة ، له الفضل علي في كل نجاحاتي وتفوقي ، لكنني لم أعد كالسابق ، فقدت يسراي التي كانت تبدع في رسم اللوحات أما اليمنى فبالكاد أستطيع الكتابة بها ...

حتما سيشعر بخيبة أمل ....!

في الصباح الباكر اسيقظت نشطة ، نزلت للمقشدة نظفت المكان ورتبت كل شيء ، فمهمتي تتمثل في التنظيف فقط بحكم أنني لا أجيد إعداد أي شي !

ثم أستعددت للذهاب للكلية..

كنت منهمكة في تناول قطعة(الحرشة)كعادتي وأنا أعبر الشارع الرئيسي ، حين لمحت عجوزا قد أحنت الأيام ظهرها ،وأضعفت نظرها ،تحاول عبور الشارع لكنها تخاف أن تبطش بها إحدى السيارات التي تتسابق هاهنا وكانها إن أبطئت قليلا فإن الحياة ستنتهي بينما لو أستمرت هكذا ستنهي حتما حياة أحد ما... خطوت نحوها خطوات سريعة تأبطت ذراعها وساعدتها في العبور ثم هممت بالأنصراف فأوقفتني ..

نظرت في عينيها العسليتين اللتين تسحران الناظر وقلت بلطف :

_أتريدين شيئا يا خالتي؟!

فقالت لي وهي تمسك ذراعي كطفل يتعلق بك لتعطيه حلوى:

_أنت جميلة يا ٱبنتي...لم لا تستترين...؟

أربكني كلامها ؛ شعرت لوهلة أنني أسمع ذلك لأول مرة في حياتي ، نظرتها الجادة ونبرتها المستعطفة تدلان على أنها تعرف أن شيئا خطيرا سيحدث ، وتحذرني منه . حدجت وجهها ؛ تلك التجاعيد المتقنة الرسم تحكي عن تجارب حقيقية ويدها الممسكة بذراعي بقوة رغم ٱرتجافها تقول إن الموضوع جدي ... !

اكتفيت بآبتسامة فبادلتني الآبتسامة كطفل رضيع

إلهي كيف تزرع البراءة في هذه الأرواح

الجميلة!؟

قليل من يستطيع رؤية روحك ، كلهم ذوو نظرة

سطحية تتوقف عند الشكل والجسد والثياب ؛

ليس الجميع يستطيع رؤية البعد الرابع ، رؤية

كنهك ، رؤية الروح التي نفخها الله فيك أيها

الكائن المصنوع من طين..

ورد 9

في الآونة الأخيرة ؛ لم أعد أحب التناقش كثيرا في المواضيع السياسية والاجتماعية ،والأخذ والرد وحركة "المد والجز" في الحوار وقصف الجبهات ، كل ذلك أصبح بلا معنى في نظري ، فلدي ما هو أهم ، يجب أن أوفر طاقة النقاش لنفسي ، علي أن أتحاور و أتصالح معها ، علي أن أفهمها ، علي أن أنهي حرب عناصر "الكوجيطو" بداخلي ، يجب أن أوحد ذاتي ، وقراراتي...

لازال يشغلني ماقالته العجوز ، وينبغي أن أحسم هذه المسألة .

أنا كإنسان لم خلقني الله !؟

لأعبده..كيف أعبده؟!

بالامتثال لما أمرني به وٱجتناب ما نهاني عنه !؟

وما الذي أمرني به!؟

الصلاة والصيام والزكاة والحج وحسن الخلق..

وأوامر أخرى من بينها "الحجاب"...!

ما أهميته!؟

لو لم يكن مهما لما أمرني به أثناء الصلاة..

إن كنت أؤمن أن الأركان الخمسة فروض ، أفلا

يجب أن أؤمن بأنه كذلك!؟

يمكن إدراك المسألة بالمنطق فقط ؛ إذا ٱستوجب

الواجب أمرا فهو واجب...

وإن كان كذلك ؛ فهذا يعني أني سأعاقب إن تركته ، كما لو تركت الصلاة أو الصيام...!

ضحكت من نفسي ، وبكيت إشفاقا عليها ، أين كان عقلي عندما كنت أناصر التحرر وأشجع الفتيات على نزع الحجاب وأسخر من المحجبات..!؟

تبا للغباء...!

وصلت أخيرا ...

وها أنا ذا أقف أمام مدخل الكلية الشاهق، كلية الفنون التي لطالما أحببتها وقضيت بين أركانها أجمل اللحظات .

هذه المرة لم أسِر بخطوات متداخلة وخجولة ، بل سرت واثقة يعزف كعبا حذائي لحنا موزونا يربك من يسمع، لم أتوتر بسبب النظرات التي تتتبعني

بل تجاهلت كل شيء، جلست في مكاني المعهود وشاركت كما في الماضي ، كأن شيئا لم يكن...

بعد الدوام ذهبت إلى غرفة الدكتور "إدريس الفاسي " الذي رحب بي أنما ترحيب ، رأيت السرور في عينيه لعودتي ، شعرت أن هناك أشخاص يقدرونني بالفعل...

عندما أخبرته بما حدث وأنني لن أستطيع الرسم بعد الآن ، ٱبتسم ونزع نظارته الطبية وضيق فتحتي عينيه وقال بصوته المميز :

ـ الفن ليس مكتسبا بل ميزة جبل عليها الفنانون ...

صمت كأنما يحاول جمع أفكاره ليصوغها بطريقة أخرى وقال :

ـحتى إن فقدت يدك الثانية فهذا لا يعني أن ملكة الإبداع داخلك قد طمست ، لن يتوقف إبداعك إلا عندما تتوقفين أنت وتفقدين الرغبة...ملكة الإبداع يا "ورد "هي المحور الأساسي لأعمالك ، أما يدك فليست إلا وسيلة ...

غادرت محملة بآمال و مخاوف من ألا أنجح لكنني تجاهلتها وتمسكت بالأمل ، فكما كانت تقول أمي :"إن وقعت في بئر عميقة ولمحت خيطا رفيعا فتمسكي به لعل صاحبه أنزله ليتأكد إن كان هناك أحد كي يرسل له الحبل الأمتن"

الآن فقط فهمت كلامك يا أماه ..

مررت على مكتبة لأقتني الأوراق ومستلزمات الرسم ، وأثناء خروجي لمحت محل بيع اللباس الشرعي ، ثم تذكرت العجوز ، فدخلت للمتجر

وأخترت بعض الفساتين والخمارات ، وعندما أردت محاسبة البائع صدمت...!

عندما رآها البائع تفاجئ كثيرا ، بدى كأنه يعرفها حق المعرفة...

كان واقفا في أحد أركان المتجر ، بقامته الطويلة و كتفيه العريضين ، يرتدي "جلبابا" خفيفا أبيض لا يتجاوز كعبيه ، تغطي وجهه الأبيض المشرب بحمرة لحية شديدة السواد كثيفة ،ملامحه سمحة وطيبة ، ويكسو رأسه شعر طويل نوعا ما ..

لم أكن أود رؤية أحد هنا وخاصة محمد ، كان في الماضي قد تقدم لي وأشترط علي أن أتحجب فقابلته بسخرية وتهكم أمام كل زملائنا ، حتى أنني شعرت بعدها بتأنيب ضمير ، لكن كبريائي منعني من الاعتذار له.

تلك قصة قديمة ، وهو قد تخرج منذ زمن ، لكنه حتما لازال يذكر ، هل تراه يسخر اليوم من د شكلي وهيئتي، معه كل الحق ؛بل وذلك قليل علي مقابل ما قلته له..

لم يتكلم صاحبنا..بل أكتفى بأبتسامة راضية إلى أن بادرت ورد بالحديث :

_كيف حالك؟مر زمن طويل...

رد عليها بأبتسامته التي لم تفارق شفتيه :

_الحمد لله..أظنك على خير ما يرام..

وألآن هل يسخر مني ؟

أيراني بهذا الشكل ويقول إني على ما يرام...أظنني أخطات بسؤاله أساسا...

قدم إليها كيس المشتريات وقال :

_مازلت حقا عند طلبي يا ورد..

وماذا الآن ...؟

أهذه شفقة علي..أم محاولة بائسة لجبر خاطري؟

قلت مدعية عدم الفهم :

_أي طلب!؟

فرد وقد تقلصت آبتسامته :

_كنت قد طلبت يدك فيما مضى لكن لربما نسيت لكثرة الخاطبين...

رددت بتنهيدة عميقة :

_ كما قلت..فيما مضى..

فأجاب مستدركا :

_ لكني لازلت عند وعدي متى شعرت بقبول تجاهي...

بدى صادقا ؛ نظرته بريئة لدرجة أن تأسر قلب أي أنثى ، مليئة بالدفء والمحبة الطاهرة ، نظرة افتقدتها في حياتي كلها..

أزحت عيني عن ناظريه بتوتر :

_ أنا أخوض حربا الآن ، ويجب أن أكمل وحدي وأنتصر وحدي ...لن أعتمد على أحد...

فرد بنبرة فاقدة للأمل :

_وأنا هنا متى أنتصرت..

من الجيد أن يعاملك شخص بمثل هذه اللطافة والاهتمام ؛ (حركت رأسها يمنه ويسرة لتنفض تلك الأفكار من دماغها)

لكن لا ..لا مكان للعاطفة الآن ، الجد الجد ياورد !

واجهي الحياة وجابهيها بشراسة كما تفعل معك..

عدت إلى غرفتي ، وأنشغلت برسم أول لوحة بيدي اليمنى ، وكلام أستاذي لا يفارق مخيلتي ..

ورد 10

في اليوم التالي ذهبت إلى الكلية مرتدية خمارا طويلا وعباءة مما جعل أنظار الجميع تتبعني أينما حللت ، وكأنهم يرون كائنا غريبا قادما من المريخ ..!

تبا لكم !

أكره الفضول والحركات الطفولية هذه ككرهي للحليب بالزنجيبل الذي كانت أمي ترغمني على شربه عندما أصاب بالسعال الحاد..

تجاهلتهم وجلست على أحد المقاعد ، لتقف عند رأسي صديقتي السابقة "حنان" ؛ بدا الشرر يتطاير من عينها ، لوهلة شعرت أني قد اقترفت خطأ ما، ورحت أستعرض الشريط في ذاكرتي منذ دخلت من باب الكلية إلى أن وصلت إلى هنا ؛

هل تراني أزعجتها دون قصد؟

أتراها سألتني عن شيء ولم أنتبه؟

أم أني جلست في مقعدها!؟

ليقطع صراخها حيرتي ؛ ودون مقدمات قالت :

_ أتظنين أنك بآرتدائك لهذه الخرق البالية

ستجذبين نظره!؟

أجبت بعد فهم :

من ...؟

فأطلقت ضحكة عالية آنتبه لها الجميع :

_من تحاولين أن تخدعي ...ها ؟! أنا أعرفك جيدا

وأعرف حركاتك القذرة يا مشوهة الوجه،

يا مبتورة اليد ،من سينظر إليك بحالتك المثيرة

للشفقة هذه ؟ أقول لك ، لم لا تنتقبين وتغطين

هذا الوجه المقزز عن أنظارنا ؟

عندها لن يدخلوك للكلية اصلا يا داعشية ...

وغادرت ...

شعرت حقا بخدش في كبريائي لكنه مجرد خدش

وأنا من تلقيت الطعنات من قبل ، فبماذا يؤذيني

كلام عابر من قليلة خبرة في هذه الحياة .

عندما أنظر إلى "حنان" أرى ورد القديمة ،

بآندفاعها وشراستها وعدوانيتها وعجرفتها وجهلها

وسذاجتها ...لا تقلقي يا صغيرتي غدا تلقنك

الحياة درسك الأول فلا تتسرعي...

لكن أكثر شيء أزعجني هو أن أمضي عشرين

عاما وأنا نفسي لم أفهم شخصيتي بعد ، ويأتي

معتوه يقول أنه يعرفني حق المعرفة ،

تبا للحماقة ...!

هذا ما ينقصني...

كنت أزفر غضبا وأنا أسير بسرعة في ممرات الكلية ، لأصطدم بأحدهم دون قصد ، صرخت في وجهه : _ألا تنتبه يا هذا !؟تبا..

لأبتلع كلماتي عندما رأيته ، دكتور جديد ٱلتحق بكليتنا كنت قد رأيت صورته على إعلان في الكلية..

رفع أحد حاجبيه ،وحدجني بنظرة ٱستنكارية ، ثم غادر دون أن أعتذر منه ..

حركاته ٱستفزتني كثيرا وزادت غضبي غضبا لأصطدم هذه المرة بصديقتي "نهال"..

بعد أن أخبرتها عن سبب غضبي ، أطلقت تصفيرة ثم غمزت بعينها وهي تقول بصوت خافت :

_لا يزال شابا... كما أنه أعزب..

كلامها أغضبني أكثر فرحت أركض خلفها وهي تجري وتزغرد بطريقة مضحكة ...

" نهال" هذه بهجة على شكل إنسان ، تستطيع إخراجك من أي حالة بحركة وكلمتين ، لقد أصبحت غالية على قلبي...

منتصف الليل ؛ كانت "ورد" قد غفت على مقعدها وهي ترسم ، فدوى رنين هاتفها ، أنتفضت من مكانها و فتحت الخط .بصوت ناعس :

_ألو ..من المتصل؟!

ليأتيها صوته الحنون ويرغم شفتيها على الابتسام:

_كنت أظنك لا تزالين مستيقظة ترسمين ، لكن يبدو أنك أصبحت كسولة !؟

ردت جدية :_آسفة أستاذي ، بالفعل كنت أرسم لكن غلبني النعاس...

فرد بمرح :

_لا عليكِ يا آبنتي ، كنت أمزح فقط ...لندخل في صلب الموضوع ،ثمة مسابقة قيمة ستقام في الكلية أظنك رأيت الإعلان!؟

*في نفسها*الآعلان الذي عليه صورة ذاك المستفز..

_أجل أستاذي رأيته ..و..لكن..

قاطعها متحمسا :

_لا توجد "ولكن"...لقد سجلت آسمك ..عليك إعداد لوحة مميزة في غضون أسبوع ...

أثق بك يا آبنتي ..

الآن أصبح على كتفي ثقل جديد ، وهو خوفي من أخذل أستاذي الطيب ...

إما أن أنجح .....أو أنجح ، لا حل آخر.

ورد 11

ظللت طول النهار شاردة ، حائرة ، أبحث عن فكرة بين سحابات مخيلتي ، أتوغل أكثر وأكثر في عوالمها فلا ألمح إلا الظلام والدموع والحَزن فعدت أدراجي للواقع لألا أتوه من جديد ، وأقع في شَرك اليأس ، وشِباك الوهن ..

أعياها التفكير ، و أضناها التنقيب عن ضالتها ، فآرتمت على فراشها العجوز ، و ألقت برأسها على وسادتها الخشنة ، وآستسلمت لهيمنة عالم الأحلام الغامض عله يهديها نبراسا يضيء واقعها أو قوسا سحريا يسدد رماحها نحو الهدف مباشرة...

كان صوتا دافئا ، تعبق منه رائحة الذكريات بعيدا، كأنه قادم من بئر عميقة ؛ دندنة هادئة تتراقص معها دقات قلبي ، وتنسدل أجفاني ، وتسكن أطرافي ، ويصمت عقلي عن ثرثرته ، لأعيش اللحظة بأندماج أكثر .

قمت فطارت حولي فراشات ملونة تنثر رحيقا بلوريا فينغمس في أحشاء التربة لتنمو براعم جديدة ، تلفت حولي لأجد الزهور تدثرني وتطوف حولي في منظر بديع الجمال ، كلما تقدمت خطوة أرتفع الصوت ، وتبين مصدره..

أشخاص بأجنحة شفافة يقفون على صفحة بحيرة لامعة دائرية الشكل ، تبينت وجوههم ، لتلجم المفاجأة لساني وتشل أطرافي .

أمي ، أبي ، العجوز ذات العينين العسليتين ، محمد ، صباح ، نهال ، الأستاذ إدريس ، والدكتور الجديد "سعد" ؛ هؤلاء من رأيتهم ، كانوا ينظرون إلي ويمدون يمناهم التي تشع نورا نحوي ، بٱبتسامة بهية رسمت على وجوه كالبدر ليلة ٱكتماله ..

بينما كنت مشدوهة بهذا المنظر الأخاذ لمحت يدين تمتدان من تحت البحيرة ، تقدمت أكثر لأجد "شهرزاد" غارقة عاجزة عن الخروج ، أحد جناحيها مكسور وتكسو وجهها مسحة يأس وقنوط ، لكن رغم ذلك منظرها كان بهيجا فتانا ، وحسنها الأخاذ يأسر الناظر إليها ، تأملتها مدة حتى حفر شكلها في مخيلتي ، ٱقتربت أكثر ومددت لها يمناي لأخرجها .

فور خروجها شعرت بنور يسري في عروقي ،
نظرت إلى أسفل قدمي لأجد الأرض تبتعد شيئا
فشيئا ، لقد كنت أحلق بجناحين براقين مثلهم...!
ثم صدر فجأة صوت من السماء ينادي :
"حي على الفلاح"
كان آذان الفجر يتردد صداه في دروب مدينة
فاس الضيقة فتنفرج ، وتتهيأ أركانها لٱستقبال
صباح جديد..
تتسابق الخطوات نحو المساجد ، وتتمتم الأفواه
بالذكر ، يركعون ويسجدون ويدعون خالقهم ثم
يغدون خماصا ليعودوا بطانا مساءً ، متوكلين على
من عنده خزائن السموات والأرض..
صلت "ورد "فرضها ،ودعت ربها كثيرا لأجل
صديقتها "شهرزاد" ، جلست تراقب طلوع الشمس

تعطر شفتيها بذكر الله ، ثم صلت ضحاها وٱنطلقت في سبيلها.

كان من الصعب الحصول على إذن زيارة شهرزاد في السجن لولا تعاون الموظفين..

بدت كما رأيتها في الحلم تماما ، جميلة ، حزينة ، ويائسة ، قدمت لها كتاب الله وأخذت منها وعدا أن تقرأه وتفهمه وتعمل به ، نظراتنا العميقة كانت كافية شافية ، تعادل ألف سجال ونقاش .

بعد أن لمست منها ٱقتناعا وقبولا أوليا ، هممت بالٱنصراف لكنني عدت إليها وطلبت منها طلبا غريبا ، فضحكت ووافقت .

عادت ورد لغرفتها والحماس يتفرقع داخل قلبها مخلفا شرارات لماعة كالألعاب النارية ، أخذت

فرشاتها لتغوص في عالم الإبداع والفن إلى أعمق نقطة.

كنت منهمكة في إتمام اللوحة عندما دق الباب ، أطلت صباح بأبتسامتها المشرقة ووجها المنير وبيدها صينية غذاء ، وضعتها على الطاولة وألتفتت إلي ، نقلت بصرها بيني وبين اللوحة مرات عديدة ثم أشارت إلى ساعة يدها وقالت :

_الساعة السادسة مساء ولم تتناولي غذاءك بعد..الآن عرفت السبب ، ولكن هذا لا يعني أن تهملي عملك وصحتك ..

صحت فزعة وقد تذكرت أنني لم أساعدها في شيء هذا اليوم :

_اووووه لقد نسيت حقا ...أنا آسفة يا أختي صباح نسيت حقا ...أنا...

قاطعتني بهدوء وٱبتسامة :

_أمزح معك يا فتاة ...أنا أول من يشجعك في هذا ..ٱستمري وٱجتهدي ..

ضممتها وقبلت وجنتها كطفلة حصلت على عروستها بعد طول ٱنتظار ...أشعر أنني قد تغيرت حقا...

ورد 11

وأتى اليوم الموعود ...

حلقت نحو الكلية بحماس وتشوق للفوز ، والحصول على الجائزة ، ثلاثة ملايين سنتيم أستطيع فتح مشروع رائع بها ، سأفوز وأرفع رأس أستاذي عاليا ، و أسترجع مكانتي بين الطلاب...

لم تسعني الأرض بشساعتها ، ولا السماء بعلوها ولا الهواء بذراته ؛ كانت سعادتي كبيرة لو وزعت على أهل الأرض لكفتهم...!

كنت أشعر أن هذا الإنجاز أقام ما ٱنقض من جدران قلبي ، و أصبح وابلا يصيب كل ركن ميت مني فيوتي أكله ضعفين ، أخيرا يا حياة قد

ٱبتسمت لي ،أخيرا قد فتحت لي حضنك الدافئ.

كانت القاعة مكتظة بالحضور والمبدعين ، كل اللوحات المشاركة كانت في قمة الروعة مما وترني قليلا ، وأربك سكوني ، وحرك أصابعي بعشوائية ، فشدت نهال ذراعي بقوة وقالت بٱبتسامة مطمئنة : _ستفوزين حتما..

أجل سأفوز ..سأفوز ...نعم سأفوز..

تم إقصاء عدة لوحات لينتهي المطاف بثلاث لوحات من بينها الخاصة بورد ..

تتكون لجنة التحكيم من أربعة أساتذة ، كل منهم يقيم اللوحة بنسبة لا تتجاوز خمسة وعشرين بالمائة ،فتضاف نسبتة لباقي النسب والمجموع يحدد اللوحة الفائزة.

حصلت اللوحةالأولى على تسعين بالمائة ،
والثانية على أربع وتسعين ولم يبق إلا لوحة ورد
التي حصلت على نقطة كاملة من الأساتذة الثلاثة
الأول أما الرابع... فعدها دون المستوى
و أعطاها نسبة عشرة بالمائة...!
لقد كان الدكتور سعد...

لم تصدر أي ردة فعل من ورد ، وبدى كأنها
تقبلت الأمر بروح رياضية وصدر رحب ، لكن أحدا
لا يعلم ما يجري داخلها من براكين تغلي ، و
آنفجارات وتصدعات نفسية ...
كانت تسير غاضبة يتطاير الشرر من عينها ،
وتصطك أصنانها ، و تثير خطواتها الثقيلة الغبار
خلفها .

وصلت إلى مكتبه ، دفعت الباب بكل قوتها فأصدر صوتا صاخبا ٱنتبه له الجميع ، تقدمت نحوه بخطوات واثقة وضربت بيمناها على المكتب فتناثرت أوراقه على الأرض ، حدجت وجهه بنظرات قاتلة وبصوت كالفحيح قالت :

_هل تنتقم مني لأني ٱصطدمت بك ولم أعتذر ...أ تخون الأمانة لأجل سبب سخيف كهذا !؟

بادلها "د.سعد" نظرات باردة ثم قال بنفس نبرتها : _أولا ٱصطدمت بي وقلت كلاما غير لائق ولم تعتذري ، ثم ٱقتحمت مكتبي دون أدب ، وتكلميننني بقلة ٱحترام ومع ذلك لم أتكلم ولم أرفع تقريرا للعميد ، أتعلمين السبب!؟

ٱختفت نظرتها القاسية وحلت مكانها الدهشة والتراجع ..

أردف بصوت منخفض أكثر بنبرة قاسية :

لأنني أشفق على حالك ، أشكري إعاقتك لأنها أنقذتك (مشيرا بسبابته إلى يدها اليسرى المبتورة)

كل كلمة ألقاها كانت تطعن صدرها بسكاكين حادة ، فتسيل عيناها بالدمع الحارق الذي يذيب وجنتيها و وشفتيها ، ركبتاها لم تعودا تحملانها ، فجرتهما عنوة للخلف وٱستدارت ، باكية ، خائبة ، مخذولة ، مهانة ، مقهورة ، بائسة ، يائسة ، شاحب وجهها ، ضيق صدرها ، منهكة جثتها ، تلفظ أنفاسها بمشقة و عذاب...

ورد 12

كانت حبات المطار تتناثر رقيقة على الطرقات مخلفة بركا راكدة ، ينعكس على صفحتها ضوء المصابيح العتيقة البرتقالي الشاحب ؛ في مثل هذا الوقت تغلق أبواب بيوت فاس باكرا ، تجتمع الأسر على وليمة عشاء دسمة ، يتسامرون وهم يحتسون الشاي الأخضر الدافئ..

بينما "ورد "اليتيمة كانت تسير وحيدة ، بخطوات تائهة ، تتلحف شال أمها الصوفي ، تضم جسدها النحيل بذراعيها لتحميه من زمهرير الشتاء ، يلفح وجهها الهواء البارد ، فتسري في أطرافها القشعريرة وترتجف .

لم تكن بحوزتها مظلة فبدت تحت المطر الغزير كعصفور وقع ببركة ماء ، فأبتلت أجنحته وأبت الطيران .

فجأة ...!

من بعيد ، تراءى لها شبح يحوم في الفراغ ، لم تكن ترى بوضوح بسبب التعب والإرهاق ، دققت أكثر لتفاجئ بسكين يلمع نصلها الحاد ، تتراقص بين أنامل كف ضخمة ، تبينت وجه صاحبها ، ليقع ناظرها على عينين حمراوين ، جفناهما شديدا السواد ، و من بينهما أمتد أنف ضخم معقوف ، يطل على شفتين داكنتين متشققة أطرافهما تبرز من بينهما أسنان معوجة صدئة .

تراجعت خطوات للوراء محاولة الهرب لكنه أمسك

ذراعها بقوة ، و وضع سكينه على خصرها شل حركتها .

لم تكن خائفة من القتل ، بل كانت تموت كلما لمسها هذا القذر بيديه النتنتين ؛ شد حجابها بقوة فصرخت بأعلى صوتها صرخة دوت في أرجاء الدروب الضيقة فهزت لبنات الجدران و طوب الأرض ، إلا القلوب ....!

ٱستنجدت بربها فأرسل لها فورا جنده ليخلصها من هذا المسخ البشري.

كنت بين ذراعيه الضخمتين أحاول الإفلات والنجاة لكن ما من سبيل ، فشتان بين قوتينا الجسدية .

بعد أن فقدت الأمل من قدرتي ، صرخت وٱستنجدت بالقوي....

لأفاجئ فورا بكفين تطبقان على عنق هذا الكائن القذر تحاول خنقه ، تخلصت منه بعد أن آستدار ليكيل لصاحب الكفين اللكمات ، فألقيت حجرا كبيرا على رأسه ليفر ممسكا بجرحه ...

تقدمت نحو الرجل الذي أنقذني لأرى ما به لأجده الدكتور سعد ، وقد تلون وجهه بالكدمات والدماء صدمت لمنظره ولم أجد ما أقدمه له لينظف وجهه سوى شال أمي العزيز ...

وضع سعد الشال على رأسه الدامي ، ثم نظر نحوها بغضب وقال بآندفاع :

_لو لم تمكثي ساعتين في الحديقة لما تأخرت ولما حصل شيء ..

نظرت إليه بغضب يوازيه :

_وهل كنت تراقبني يا هذا !؟

ما الذي تريده مني بعد !؟

أم أنك نسيت أن تضيف شيئا لكلامك القاسي !؟

صدقني لو لم أتعرض لإهانة كهذه لكنت بألف خير

أنت السبب في كل ما حدث لي ...

وفرت من عينيها دمعات متمردة رغما عنها...

أضافت بصوت متقطع :

_أنت لا تختلف عنه في شيء ، كلاكما معتدٍ

متوحش ، كلامكما ....

فقاطعها بصوت حانٍ ، هادئ :

_سامحيني ...ياورد..لم أقصد كلمة مما قلت...

أتسعت عيناها ، وفغرت فاها ، غير مصدقة لما

سمعت..

أضاف بنفس النبرة المتأسفة :

_لقد كنت غاضبا لذا قلت ما قلت ، كنت غاضبا لأنني كنت السبب في خسارتك ، لوحتك رائعة والفكرة فريدة ولكن تقنية الرسم سيئة وذلك لأنك بدأت للتو بالرسم باليمنى ، اهذا صحيح ؟!

أجابت بغضب مكتوم :

_أجل ..ولكن هذا لا يعني أنها سيئة لتلك الدرجة

فرد :

_مقارنة باللوحات الأخرى...أجل سيئة...

قالت بنفاذ صبر :

_ألهذا كنت تتبعني ؟!

فأجاب بصوت حانٍ:

_أجل ، لأعتذر منك ، وأعدك أنني سأفعل المستحيل لأسجل آسمك في مسابقة أكبر ...

ألقت إليه نظرة باردة ثم آستردتها وهمت بآلانصراف ليوقفها سؤاله :_هل أوصلك ؟

فردت دون أن تستدير :_لا داعي ..

وغادرت ، فتبعها إلى أن دخلت المنزل وأوصدت الباب ..

عدت إلى غرفتي غاضبة ، ناقمة ، ألقيت بجثتي على السرير من التعب ، حاولت أن أنام لكن لم أستطع ، شيء ما ظل يؤرقني .

كنت أستعرض ما حدث وأعيده مرارا وتكرارا متلذذة بذلك ، لم يتوقف قلبي عن الخفقان أبدا ، هل خوفا !؟

لا ...بل هو شيء مؤلم لكنه ممتع ، بارد لكنه دافئ ، مر كالعلقم حلو كالعسل ....

يحزنني ويبهجني ، يغضبني و يرغمني على الٱبتسام في آن واحد ..

يخنقني ويحييني ، يتعبني الآن ...لكن بقربه تنفرج أساريري وترتاح نفسي و يهلل قلبي ...

شغلت أغنية لطالما أحببتها ، لكن هذه المرة لم أستسغ مذاقها ، حتى الكلمات بدت ركيكة ومتداولة ، واللحن الذي كان يبهرني لم يعد يشدني ، لم أشعر بتلك القشعريرة التي كانت تصيبني كلما ٱستمعت لها ، حتى صوت المغنية الخرافي بدا عاديا جدا ، ومزعجا كلما أطلقت آهاتها كدليل على إحساسها المرهف...

حذفت كل الأغاني بغضب وعدت إلى فراشي ..

كنت أحدق في أرجاء الغرفة المظلمة ، وأرى الأشياء واضحة تحت ضوء القمر الذي يتراقص

في المكان ، فجأة لمحت قرآنا لم ألحظه هنا من قبل ، لابد أن صباح قد وضعته هنا ..

أخذته وجلست قرب النافذة ورحت أتلو آيات القرآن بصوت عذب لم أعلم بوجوده من قبل....!

عندما كنت أغني لم يكن جميلا هكذا وكانت الفتيات تسخرن مني ، لكن....أظنها بركة كتاب الله ...!

قرأت كثيرا إلى أن غفوت على مقعدي والسكينة تغشاني .

ورد 13

مرت أيام لم أذهب إلى الكلية بسبب ذلك الحادث وبسبب ذلك الشعور ، أثناء هذه المدة ٱنضممت لنادي فنون الدفاع عن النفس ، لن أتهاون مرة أخرى ، ينبغي علي حماية نفسي بنفسي ، فالحياة صعبة والأشخاص لا يدومون ، تلك أول الدروس التي لقنتني إياها الحياة ، ولن أنساها أبدا ، على كل بنت حواء أن تعتمد على ذاتها ، فقد يرحل ٱبن آدم في أية لحظة ، وتظل وحيدة وسط مستنقع الواقع ، وبين مخالب المجتمع...!

وأيضا طول تلك المدة ، داومت ورد على رسم لوحات كثيرة لتحسن من تقنيتها ، فقد عدت رأي سعد تحد لها فقبلت به وأصرت على الفوز هذه المرة...

فوجئت بالجميع يسلم علي و يواسيني على شيء لم أفهمه ، أتراه أخبرهم بما حدث !؟ تبا لك ...

لا ، لقد كانوا يعزونني أيضا ...من مات يا ترى!؟

تقدمت إلي أحد الفتيات وضمتني وهي تقول بأسف :ـ زال البأس يا صديقتي وأعظم الله أجرك في عمتك ، رخمها الله رحمة واسعة..

هل ماتت عمتي حقا !؟ الحمد لله ....هههه

أتت إلي نهال وآنتشلتني من بين الحشود وهي تضحك بطريقة مضحكة....!

أخبرتني أن د.سعد أخبرهم أنني لن أقدم للكلية لأن عمتي التي ترعاني بعد موت والدتي قد توفيت

أضحكني الأمر كثيرا "عمتي التي ترعاني"...

أجل ترعاني خير رعاية...!

أتراه يقرأ أفكاري !؟كيف علم أني سأتغيب !؟

لايهم...

توجهت نحو مكتب د.سعد وبعد إذن العميد علقت لوحة كانت قد رسمتها مؤخرا أعلى مدخل غرفته وغادرت..

كانت اللوحة عبارة عن وحش ضخم بأنياب صفراء تسيل من بينها الدماء ، يحاصر فراشة بنفسجية شاحبة ، وعلى عنقه كفان ناصعا البياض تحاولان خنقه...!

بعد الدوام مرت جانب مكتبه ، كانت اللوحة لا تزال مكانها ، لكنها لمحت توقيعا أسفلها

"الفراشة"....

كانت تحدق باللوحة حين فتح الباب في وجهها

شلت حركتها وظلت واقفة تتأمله ، كانت تلك أول مرة تراه جيدا ، لم يكن بالطويل ولا القصير ، أسمر البشرة ، ذا عينين داكنتين ، وشاربين كثيفين ..

لم يكن شكله يعاصر الموضا ، كأنه قادم من الستينات ...

يرتدي بنطالا واسعا وسترة طويلة نوعا ما وقميصا داكنا دون ربطة عنق ..

ولأنه مختلف كان يبدو جذابا ، وكأن هالة رمادية براقة تحيط به...

رفع أحد حاجبيه ، وهو يوجه نظره نحو اللوحة قائلا :

_لا بأس بها ، لقد حسنت أسلوبك قليلا...

ثم وجه نظره نحو "ورد" ، قائلا بصوت حانٍ :

_يا فراشة....

ٱحمرت وجنتاها و فرت الكلمات من قاموسها فتلعثم لسانها فأومأت برأسها وغادرت ، بعد أن ٱستدارت ٱرتسمت على شفتيها ٱبتسامة رائعة أغلقت عينيها تستشعر اللحظة وسارت في طريقها حالمة .... عاشقة....!

هذا القدر عجيب !

يذيب أحزان عمر كامل بموقف واحد ، ينسيك المر بكلمة حلوة بسيطة من شخصك المفضل ، فيتغير مزاجك وأنت تراقب حروفها تتراقص على شفتيه ، وبنظرة منه يشتعل فؤادك المولع ، أما ٱبتسامته لك ، فهي بالدنيا وما فيها...!

ورد 14

"أحبك ؛ هي الكلمة الوحيدة الجميلة التي يتحرك بها الإنسان ، ويفضل فيها ٱمرأة بالذات ، يطلبها بالإسم ، ويعلن ٱرتياحه لوجوده معها ، ويحضر معها بوجوده كله ، بجسمه ،وطبيعته ،وعاطفته ، وعقله ، وثقافته ويستمتع معها بهذا الحضور الكامل ، بلا كراهية ، بلا أنانية ، وبلا غيرة ."

من كتاب "الحب والحياة".

لم يكن من السهل تلقي مفاجأة في حالتي كهذه ولا سيما أن يعترف أحد بحبي ، وخاصة إن كنت أبادله الشعور.

الأمور معقدة جدا وليست بتلك البساطة التي كنت أظنها ، فالإنسان يحتاج وقتا لترتيب أموره وأفكاره ، وقدرة على تحديد القرار الصحيح ، معتمدا على المنطق والعقل ، لأنه يجب ٱختيار المناسب لا ما تريده النفس لأنه قد لا يناسب ظروفها...

كان ذلك في ٱحدى الليالي الباردة عندما كنت أرسم كعادتي فأصدر الهاتف ٱشعار تلقي رسالة فلم أعره ٱنتباها حينها...

لم تكن رسالة مزخرفة بالزهور والقلوب والكلمات المنمقة ، والعبارات الرومنسية ، بل كلمة واحدة "أحبك" تعقبها نقطة .

لا أنكر أنها أسعدتني وأثملتني ورحت أغوص في عالم الخيال و الأحلام ، لكنني سرعان ما نفضت تلك الأفكار من مخيلتي ، وعلامة ٱستفهام ضخمة تشغل تفكيري : "هل يرضى الله بهذا؟"

لجأت لعلماء ومواقع أتساءل عن حكم الحب ، لتصفعني الردود :"من أحب ٱبنتنا فليدق باب والدها وإلا فليحل عن سمائها "

لا أذكر لمن كان هذا الرد لكنه علق في ذهني .

فٱلتزمت الصمت ولم أرد على رسالته ، وكثت في البيت لأيام ...

كنت عائدة من النادي مرهقة في يوم حار ، فها قد كشفت الشمس عن نقابها و أطلت من بين الغيوم الداكنة لتسطع على أسطح البيوت والأزقة

وتنثر بريقها على جبل زلغ ، ليكتسي اللون الذهبي من جديد..

فتحت باب غرفتي لأجده واقفا عند النافذة ، آستدار نحوي فهبت نسمات دافئة و أرسلت الشمس أشعتها ليستنير المكان وتحرك المشاعر المتجمدة لتبث فيها الروح مرة أخرى ، فيستيقظ ذاك الأحمق في يسار صدري من سباته ليقفز كسجين يرى النور بعد أعوام من الظلمات...

"لكن لا ، توقف أيها الغبي " صاح العقل بغضب فخضعت له كل جوارحي ، و نطق لساني بغضب:

_إذهب من هنا ، فمن غير اللائق زيارة فتاة تعيش وحدها في محل إقامتها يا أستاذ ..

نظرات كانت تستغيث بي ، فلم أرحمها وسددت

وسددت نحوها سهاما أجبرتها على الٱستسلام ،
جر قدميه وٱختفى...
مشاعر متضاربة ، وأفكار متداخلة ، وحرب نفسية
لا ينقذني منها إلا "الوازع الديني" أو "الأنا
الأعلى" بلغة الفلسفة وهو ينادي : "من أحب
ٱبنتنا فليدق باب والدها وإلا فليحل عن سمائها ".
بعد قليل ٱتصل الٱستاذ إدريس الفاسي وأخبرني
أن د.سعد سجل ٱسمي في مسابقة وطنية كبرى
وطلب مني أن أسأله عن التفاصيل .
لقد أحرجت تماما ، أيعقل أنه أتى ليخبرني عنها ،
لكن لم لم يتصل ...!؟
ثم تذكرت للتو أني قد حظرت رقمه ....!
اتصلت به وكلمته كأن شيئا لم يحدث ،
وٱستفسرت عن كل شيء بمنتهى الجدية .

بعد.إنهاء الاتصال فوجئت برسالة منه تقول :

" لقد زرتك لأخبرك بالمسابقة ، أردت أن ابشرك بهذه الفرحة وأنا أنظر في عينيك ،لا أنكر أنني قد قلقت عليك لغيابك ، لكنني أشيد بردة فعلك ... والآن أقول : هل تتزوجينني!؟"

هل تنسجين لي حلما ورديا أيتها الحياة !؟

أم تحيكين لي شباك الغدر و خيبة الأمل من جديد!؟

ورد 15

أن أكسب مسابقة وطنية كان من بين أحلامي التي نسيتها بعد كل الصفعات التي وجهتها لي الحياة ، وها قد تحققت ، وسيقام معرض للوحاتي وأحصل على الأرباح ، ثم أقيم مشروعي الذي تمنيته دوما ...

عند عودتي من العاصمة كنت محملة بمشاعر جمة ، بالحب والآمتنان ، والفرح والأمل ،والفخر، و لوعة الشوق ولذة النصر ، لكن المسيطر كان "الرغبة في البوح".

البوح هو تخليص ذاكرتنا من ثقل الأسرار ، و إفراج عن مشاعر حبست دهرا بقلوبنا ، خاضعة لوازع الدين والأخلاق..

أخذت هاتفها وكتبت بحروف واثقة ،جريئة ، تتسابق بين أناملها ، ومعها تتسارع خفقات قلبها و تجري أنفاسها الحارة ذهابا وإيابا دون كلل أو ملل ،إلى أن يأذن بارئها بالتوقف.

همت بإرسال رسالة لكنها تراجعت ، وآثرت أن تكتب ما يدور في خلدها في " حالتها"على الواتساب :

"لقد أوتيت سؤلك يا موسى"

وأغلقت هاتفها.

فور وصولها للكلية حيث يفترض الترحيب بها والٱحتفال بفوزها وجدت المكان هادئا مريبا ، وحيث يفترض أن ترى الفرحة في عيني حبيبها ، ويحتفلا معا بميلاد حبها ، لم يكن بين الحضور في

لم يكن بين الحضور في قاعة العرض ، كان الجميع صامتا منكصا رأسه ، وعلى وجوههم مسحة حزن و ألم ، قصدت أستاذها إدريس وسألته عن سبب حالتهم هذه ، كان رده آخر شيء تتوقعه...كان رده مدمرا لكل ما بنته من أحلام قبل لحظات قليلة...

لقد لاقى سعد حتفه فورا في حادث سير فظيع عندما كان في طريقه للكلية...

فتحت هاتفها لتجد أزيد من عشرين ٱتصالا فائتا منه ، ورسالة علق فيها على حالتها كتب فيها :

"لم أكن أظن أني محظوظ لهذا الحد ، حصلت على الوظيفة التي أستحقها ، والفتاة التي أحببتها ، إن أرادت الموت أن تخطفني الآن فلتفعل ..."

الرحيل ، ذاك الواقع المرير الذي ذاقته "ورد" كثيرا، وجعل أي سعادة تعيشها تعلق في حلقها كالشوك ، أصبح كصديق يرافقها أينما حلت ،كأنها لعنة تصيب كل من تحبه ..

في كل مرة تشرق شمس آمالها تحل الغيوم السوداء فجأة وتلبد سماءها الصافية ، في كل مرة تحاول فيها بناء المستقبل يخر عليها البناء وتفقد جزءا منها تحت الأنقاض ، وهذه المرة كان قلبها ما دفن تحت الركام ..

لم تكن جنازته عادية ، كانت مميزة ، فريدة ، يطبعها الغموض ، مثله تماما ، لم تولول قريباته ولم تصرخ والدته ، كانت جنازة راقية يكسوها السواد والحزن الصامت ، لقد كانت جنازة تليق به...

الفرق بين الحب والإعجاب خيط رفيع حاد كالسيف يطعن القلب ويسكن فيك للأبد ، يصبح جزءا منه ، لا يزول إلا بتوقفه .

أدركت أني لم أحب "إياد" يوما ، كل ما في الأمر أن مواصفاته كانت مناسبة لي ، وقد كان هذا الشعور متبادلا.

لكن سعد قصة أخرى ، وألم مشتعل ، وروح تسكنني ، ونفس أستنشقه لأحيا ، و رحيله لم يكن ليمر ببساطة أبدا ، وألم فقدانه في أوج حبنا لن يهدأ ، والجرح الذي فتحه لن يندمل إلى قيام الساعة ...

لكن ما باليد حيلة ، أبكي ؟

بكيت حتى جفت الدموع....

أصرخ ؟

لقد بح صوتي ..

أحطم الأشياء؟

لم أجد شيئا لأكسره في غرفتي البالية ..

لقد آثرت الصمت ، وتركت شعيرات قلبي تتمزق إلى أن يتوقف عن ضخ الدم فيجسد خال من الحياة ، لا روح فيه ولا شعور ...

خيبة الأمل هو أسوأ شعور في الكون ، يأتي على غفلة منك وأنت غارق في أحلامك فيقضها و يخطف البهجة من حياتك والبسمة من على شفتيك.

خيبة الأمل هو فرمان إعدام مشاعر الجميلة كلها لن يبقى لك إلا الحزن واليأس ، ستتمنى الموت وقد تقدم على الأنتحار ....

لكن فجأة ،يصدح المؤذن الله أكبر من كل أحزانك، وكما مررت من أزمات ستمر من هذه ، الله أكبر من كل خيبة أمل ،الله أكبر من كل فراق وفقدان ...فلا قنوط تحت رحمة الله ...!

قمت ، توضأت ، صليت لساعات ، رجوته أن يثبتني ففعل ، طلبت منه أن يربط على قلبي فقبل ، دعوته أن يلهمني الصبر فٱستجاب ؛ وها أنا ذا أقف صامدة في جنازة حبيب خطفته الأيام مني لتنذرني أن ٱختبارات الحياة لم تنته بعد..

"كنت أتساءل دائما لماذا الموت يختار أفضل من فينا ، ووجدت الإجابة مؤخرا ؛ لأنهم نجحوا في الٱمتحان مبكرا فلا داعي لوجودهم ."د.خالد توفيق فوداعا..! يا عظيم الشأن ، يا حبيب القلب ، يا روح الفؤاد...

ورد 16

"أن تكوني أنثى يعني أن ٱختبارك صعب في مجتمع يجهل كيف يعتني بالورود ، لذا ينبغي أن تنمي أشواكك وتخفي الرقة و الدلال ...

كوني بين الغرباء رجلا ، ٱعملي وتجلدي ، ٱبن مستقبلك بعرق جبينك فالأهل لا يدومون ،والزوج قد يرحل ، أو قد لا يظهر ، هذا لا يعني أن هذا فشل أو نقص ، بل ذلك قدرك وعليك تقبل والمضي في الطريق ، نجاحك ليس مقصورا على بناء بيت وإنشاء أسرة _أجل ذاك أمر مقدس_ ولكن نجاحك يكمن في بناء شخصية قوية تجابه الحياة بكل صبر ، تملك حلولا لكل الأزمات ...

سيدتي إن كنت ضعيفة فلن تفلحي في بناء جيل قوي ، والنتيجة مجتمع مشتت مريض نفسيا وعقليا ، تؤثر فيه كل ريح تهب ، ينصاع لدعاة الٱنحراف بسهولة ، و يلعب الشيطان عليه لعبته الدنيئة...

إلى متى سنظل نياما ، أما آن أن نستفيق ونعود لديننا وقيمنا ؟!

أنت بيت القصيد و حجر الأساس الذي يبني عليه المجتمع ، إن وهنت ينهار المجتمع ...

مسألة أن الرجل هو المسؤول عن أهله صحيح جدا ، ولكن من ربى هذا الرجل؟!

أنت ...فإن لم تكوني سليمة الشخصية لن يكون إلا نسخة مصغرة عنك ...

دعك من القيل والقال وهلمي للعلم والعمل و التفقه بأمور دينك ودنياك .."

صفق الجميع بحرارة ، فلاحت آبتسامة خفية على شفتيها ، و برقت عيناها الرماديتان اللتان تطلان بآستحياء و ثقة من تحت نقابها الداكن بالأمل والتفاؤل بالغد...

أردفت :

"سيداتي ، نحن اليوم هنا للآحتفال بمرور عقد على إنشاء هذه الشركة الفريدة من نوعها ، في البداية كنا ثلاثة او أربعة رسامات نقيم ورشة صغيرة ، لا يتجاوز عدد اللوحات المبيعة في الشهر عشر لوحات ، بينما الآن أصبحنا نعقد الصفقات عالميا ، نصدر إبداع أناملنا ونقول لهم نحن قادرون على معاصرة الزمن وفي نفس

متشبثون بثقافتنا ، ودِيننا ، وعروبتنا ، وسنظل للأبد.."

تعالت التصفيقات مرة أخرى ...

لتكمل :

"شركة " ريشتكِ" لم تكن مشروع أحلامي ، بل هي ليست إلا وسيلة للمشروع الأساسي الذي سأعلن أنطلاقه الآن ، فالنجاح يا صديقاتي ليس هو النجاح الفردي وجمع ثروة طائلة و عيش الرفاهية والحياة الوردية ، بل النجاح هو إصلاح المجتمع ، في ماذا يفيد نجاحي في مقاولتي بينما لازال أناس بؤساء في هذه البلد ؟

لذا أعلن عن إنشاء مركز دعم للشباب ، دعم نفسي ، توجيه أجتماعي ، تقديم قروض حسنة ، ومساعدات مادية ، وتشغيل المعطلين عن العمل

ونحن من سنبحث عنهم ونمد لهم يمنانا لننتشلهم من براثم البطالة والفقر والآنحراف ..

جميعنا قد لاقى أشخاصا مدوا له يد العون في كل مرة كاد يغرق فيها...

(أغلقت عينيها وهي تستعرض ذكرياتها سريعا مع أولئك الأشخاص الذين لولاهم لما وصلت لهذه اللحظة ثم نظرت بحزم وتصميم)

ونحن سنكون ذلك الشخص هذه المرة"

وقف الجميع لتأدية النشيد الوطني كمسك ختام للحفلة..

كان اللحن مميزا هذه المرة ، و فجأة تذكرت اللحن في حلمها الغريب ذلك اليوم ،

لتتجلى في ذهنها تلك الطفلة التي تقف بين التلاميذ في ساحة المدرسة الأبتدائية ، تستمع للنشيد الوطني فتسري في جسدها قشعريرة وتشعر بالحب والأنتماء ، تدندن بصوت منخفض ليعلو بحماس:"إخوتي هيا ، للعلا سعيا ..."

وهاهي تسعى لعلاك يا وطن...

الوطن هو أول من يمد لنا يمناه ، نعيش على خيراته ، ونموت على أرضه ، فيضمنا بين أحشائه بحب و دفء....

يهبنا أرواحا تربط حلقات حياتنا لنستمر ..

أخذت الميكروفون وقالت :* فليكن إسم مشروعنا الجديد "أصحاب اليمين"يا رفاق *.

بداية النهاية

في صالة أثاثها راق ، يغلب عليه اللون البنفسجي كانت تجلس على أريكة قبالة التلفاز ، تحرك ساقيها الرقيقتين بمرح ، تتراقص خصل شعرها الطويل الناعم مع نسمات الهواء الباردة المنبعثة من نوافذ الغرفة ، رائحة التراب المبلل تعطر المكان ، وصوت المطر يبعث في نفسها الهدوء والطمأنينة ، أشعة الشمس تتسلل خفية من بين الغيوم الرمادية لتعبر الشباك الحديدي و تنثر وجنتيها الرطبتين المتوردتين بريقا ذهبيا فيزيدهما جمالا ورقة ، كانت تمسك كأس الشاي الدافء بيمناها وتسنده بيسراها الأصطناعية ،

تستنشق رائحته الزكية وتحتسي رشفة خفيفة ،
تنزلق قطراته الحارة على شفتيها الفراوليتن
فتزمهما بغضب طفولي وتضع الكأس بعيدا ،
تميل برأسها على كتفه العريض بحب لينساب
شعرها بدلال ، يضع رأسه على رأسها لتداعب
شعيرات لحيته الكثيفة شديدة السواد جبينها
بشقاء وحب فيشع ثغرها بأبتسامة رائعة
الجمال .

تمت بحمد الله.

شكر

شكر خاص لمن وهبتني الحياة ، وأحبتني بلا حد.

وشكرا لأصدقائي الذي ساندوني ودعموني دائما

قد لا يرقى عملي البسيط هذا لتسميته رواية

لكنها حفنة أفكار حاولت بقدر الإمكان إيصالها .

هذه ليست إلا خطوة أولى فمسيرة الألف ميل

تبدأ بخطوة ،وبفضلكم خطوتها...

- كنتُ أخشى الكتابة ،

فاعتدت

أن أكتب

بهذه الطريقة

العمودية خوفاً

من أن يتوقف

أحدهم عن القراءه

لمله من طول جملي

ثم بدأت بتغيير ذلك شيئاً فشيئاً وبدأت كلماتي

تتقارب أكتر وأكثر حتى أصبحت قادر على إتمام

جملة من عشرة كلمات كهذه ثم في النهايه

أدركت أنه علينا أن نبقى مع من يجعلون الحياه

أبسط، مع من لا نبذل كثير من المجهود معهم

حتى يتقبّلونا، من يحبّوننا بدون أسباب.. وأن

منيحبكسيقرأماتكتبحتىلوألصقتالكلماتبجانببعضها

بعضاً وأن من يحبك سيقرأ لك حتى وإن لم تكتب !

لقائلها